روايات مصرية للجيب

زهور

114

الأمل

« الجزء الأول »

فوزي عوض

هــذه السلسلة ..

عندما تتحولّ حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحـب بمعنـاه الرحـب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلـف

الفصل الأول

أكثر ما يذيب قلب (ســوزى) هو هديل حمامتها حين يأتيها مع شروق الشمس من قفصها الأنيق المعلق بشرفة الشقة ..

تفتح (سوزى) عينيها على تحية حمامتها الرقيقة فتنساب على شفتيها ابتسامتها الناعسة مفعمة بدغدغة قلبها الأرق من قلب الحمامة ، وينســاب ردها همسًا وهى لم تزل ساكنة بخدها فوق وسادتها :

ــ صباح الفل يا حبيبة قلبى .

ولكن ردها هذا الصباح جاء وهى تدفع بضلفتى شيش الشرفة فاتحتهما على مصراعيهما بمنتهى الحيوية والسعادة ، ومندفعة نحو القفص محتضنة الحمامة بكفيها بمنتهى الحنو ، وواضعة قبلة مفعمة بسعادتها على منقارها وهى تجيبها :

ــ صباح الفـل والياسمين والبنفسج وكل زهور الجناين على عيونك يا أجمل حمامة فى هذا الكون .

وجاءها رد الحمامة هديلاً رقيقًا متسائلاً وهى تنظر فى عينيها بوداعة ، وكأنها تسألها عن سر سعادتها الغامرة هذه ، فكان رد (سوزى) بوهج سعادتها :

ــ لا تندهشى هكذا يا حبيبـــة قلبى .. إنه يومى .. أجمل أيام عمرى .. عيد زواجى .. عيد زواج أجمل حبيبين فى الوجود .. ملوك الحب والشقاوة .. (سوزى) و (عمدة) .

وإذا بالحمامة السمينة تعاود إطلاق هديلها وهى تمط رقبتها متلفتة يمينًا ويسارًا ، وكأنها وعت ما سمعت وابتهجت به ، فلم تملك (سوزى) إلا أن تداعبها ضاحكة :

ــ شكرًا يا حبيبتى ..

وأمسكت برقبتها فى رفــق وحنان واضعة قبلة أخرى على منقارها ، أعادتها بعدها إلى القفص ، ثم استدارت مجيلة عينيها المتوهجتين بسعادتها على تفاصيل اللوحـــة الخلابة المطروحة أمامها حتى الأفق .. الحديقة الكبيرة المحددة بشجيرات صغيرة رقيقة ممتدة من تحت الشرفة حتى الطريق الأسفلتى العريض المنساب بين شطرى الحى فى نظافة وبراح ، سنتر « الوجيه » التجارى المنتصب على الجانب الآخر من الطريق بمحاله وواجهاته ولافتاته المتزاحمة فى حيوية وتألق ، المسجد الكبير بصفرته الخفيفة الرقيقة وتصميمه الأندلسى الرائع ، وقبته الهائلة الجليلة ، ومأذنتيه الشاهقتين المرتفعتين فى الفضاء لما يزيد على الثلاثين مترًا كسبابتين تشهدان بوحدانية المولى (عز وجل) ، العمارات البعيدة بطوابقها الخمسة الموحدة ، وقد اصطفت على شكل قوس ضخم تظهر من وراء نصفه الأيمن قمة الجبل الصفراء كرأس

حارس خرافى عهد إليه رب البلاد والعباد بحماية المدينة الرقيقة الوديعة من أى تهور خارجى يجرح وداعتها .. زهوة قمة الجبل تحت أشعة الشمس جعلت (ســوزى) تلتفت إلى الشمس ذاتها بالناحية الأخرى ، فإذا بها مطلة من عليائها ساطعة رائعة بهيجة كقرص من ذهب خالص ربانى يسكب وهجه على المدينة الرائعة :

ــ رائعة يا مدينة الشيخ زايد !! رائعة !

هكذا انسـابت همسة الســيدة الشـابة الفاتنة من قلبها ، ثم استدارت مرتدة إلى داخل الشقة ، فــإذا بــ (عماد) خارج من الحمام وهو يجفف رأســه ووجهه بمنشفته .. اندفعت نحوه كفراشة خطفها نور مفاجئ تعشقه :

ــ حبيبى !

تلقاها بين يديه باسمًا :

ــ عصفورتى .

وراح يسرى على وجهها الجميـل المتورد بنظــرة باسـمة ــ عيناه بطبيعتهما باسمتان دومًا ــ ثم أردف يسألها بابتسامته الربيعية الحانية :

— ما الذى أيقظ عصفورتى الساحرة مبكرًا هكذا ؟

قطبت جبينها متطلعـة إليه بدهشة باسمة وهى تطوّق عنقه بذراعيها :

— معقول ! ألا تعرف السبب يا عمدتى ؟!

— أعرفه يا عصفورتى ، ولكنها السابعة صباحًا .

انقلبت دهشتها عتابًا :

— وهل نسيت عاداتى فى هذا اليوم ؟

هز رأسه نفيًا وهو يهدهدها بابتسامته ونظرته الساحرتين :

— لا يا عصـفورتى .. لم أنس ، ولكنى فقط أشفق على هذا الجمال من الاستيقاظ مبكرًا هكذا .

حلّقت بعينيها المبتهجتين على وجهه منتشية بسحر وسامته :

— عصفورتك لا تقبل منك شـفقة يا عمـدة القلب والعقل والروح .. عصفورتك تريد منك حبًّا .. اسقها حبًّا ، وأطعمهـا حبًّا ، واملأ قلبها ورئتيها وشرايينها وكل ما فيها حبًّا وهى ستهبك نفسها حتى آخر نفس فى صدرها وآخر نبضة فى قلبها ، وأكثر لو استطاعت ..

فاحـت عذوبة إحساسها فى قلبـه .. أخذها من خصرها إلى أقرب مقعد .. جلس وأجلسها فوق فخذيه ، وراح يملأ عينيه من براءتها السارحة فى ملامحها الحلوة .. إنها حقًّا عصفور يفيض عذوبة وبراءة .. وجد نفسه يداعبها بابتسامته الساحرة :

— أخاف لو فعلت أن تمل عصفورتى يومًا كل هذا الحب الذى تطلبه .

أراحت رأسها فوق صدره ، ضاغطة نفسها فى حضنه وهى تجيبه :

— لو ملّت ما كانت عصـفورًا ، فالعصافير لا غذاء ولا رواء لها سوى الحب .

ضغطها أكثر فى حضنه بكل ما فى قلبه من حب وحنان :

— وأنا لا أجيد شيئًا فى هذه الحياة غير حبى لك يا عصفورة عمرى .

هنا رفعت رأسها فجأة ناظرة فى عينيه فى تكذيب باسم :

— بل تجيد معه حبك لضرتى .

انسابت ابتسامته الحلوة على شفتيه مرة أخرى :

— تقصدين المحاماة ؟

وثب التحدى فى عينيها ولهجتها :



ـ وهل هناك سواها تستطيع أن تأخذك منى ؟

وكان رده فى هدوء وتبسُّم :

ـ ولا حتى هذه تستطيع أن تأخذنى منك يا عصفورتى .

ومـــرة أخـــرى عادت نظرة التكذيب الباسمة تطـــل من عينى العصفورة ، ولكنها ما لبثت أن تبدلت بنظرة تشجيع صادق من القلب وهى تجيبه قائلة :

ـ وهـــل صـــدّقت حقًّا أننى أغـــار منهـــا يا حبيـــب قلبى ؟ بالعكس أنا أحبها وممتنة لها جدًّا ؛ لأنها وهبتنى فارسى الذى أفخر به .

ـ وفارسك اليوم سيزيدك فخرًا به يا عصفورتى الفاتنة .

ـ لمـــاذا اليـــوم ؟!

ـ اليـــوم جلســـة النطـــق بالحـــكم فى قضية رجـــل الأعمال (هشام البكرى) ضـــد الحكومة ، وبمشـــيئة الله ســـوف تحكم المحكمة له بتعويض كبير .

انفلتت من (سوزى) إيماءة تعجب أقرب إلى السخرية والشفقة :

ـ يا حضرة الأفوكاتو .. يا حضرة الأفوكاتو .. هل يمكن أن تقذف الحداية بكتاكيت ؟!

ـ طبعًا لا يا عصـــفورتى ، ولكن هنـــاك من هـــم بمقدورهم انتزاع الكتاكيت منها رغمًا عنها ، وعمدتك حبيبك واحد منهم .

ابتسمت مشفقة :

ـ أخشى ألا تنـــال أنت وموكلك ســـوى الزفة التى صنعتها الصحافة لقضيتكما .

ـ بل سننال حقنا بإذن الله .

وانتبه لها مردفًا فى دهشة :

ـ ثم هل أنت معنا أم مع الآنسة حكومة ؟!

أسرعت تطوّق عنقه بذراعيها :

ـ أنا مع حبيبى .

ـ إذن ادعى الله بأن يكرمنا .

أسرعت ترفع كفيها داعية :

ـ يا رب .. خذ من الحكومة المفترية عينيها وأعطهما لحبيبى .

انفجر ضاحكًا متعجبًا :

ـ وماذا أفعل بعينيها ؟

ــ ستفعل بالحكومة نفسها يا حبيبى ما تشاء لأنها ستصير عمياء بلا عينين .

وأطلقت ضحكتها الملتهبة بأنوثتها ، ثم عادت تقول بشقاوتها المتوهجة :

ــ بإذن الله سنحتفل الليلة بالمناسبتين معًا .. عيد زواجنا .. وانتصاركما أنت و(البكرى) باشا عليها .

ثم إذا بها تسأله بمنتهى الحماس ، وقد طرأت لها الفكرة توًا :

ــ لمــاذا لا تدعوه إلى الاحتفال معنا يا عمدتى ؟

وفوجئ (عماد) :

ــ ندعو من يا عصفورة ؟!

ــ ندعو (هشام البكرى) .

اشتدت دهشته :

ــ ندعوه أين ؟!

ــ هنــا .

تطلع إليها متفرسًا لوهلة ، انفجر بعدها ضاحكًا وهو يسألها مشفقًا عليها من سذاجتها :

ــ هنا ؟! (هشام البكرى) هنا ؟!

استفزتها ضــحكته ودهشته فكان تساؤلها بمنتهى الشموخ وبنفس شقاوتها وتبسُّمها :

ــ نعم هنا ؟! وهل يطول ؟ هل يطول أن يدخل مملكة البرنس والبرنسيسة ؟!

واشتدت شفقة (عماد) عليها فلم يملك إلا أن يحاول إفهامها الأمر برفق :

ــ يا عصفورتى .. يا عصفورتى الساحرة .. (هشام البكرى) هذا يقيم فى قصر ثمنه 6 ملايين جنيه ، بينما شقتنا المسكينة هذه نصف أرضيتها عارٍ من السجاد ، وأثاثها لا ....

أسرعت تضع أصبعها على شفتيه برقة لتسكته قائلة :

ــ حبيبى .. حبيب العصفورة .. العبــرة ليست بالمكان .. العبرة بمن فيه .. وهنــا ملكــان متوّجــان على عرش الحب والسعادة .. وهذه الشقة التى لا تعجب سموك هى مملكتهما .. مملكة الحب والسعادة .. فهل بمقدور أى مخلوق مهما علا شأنه أن يرد دعوة لدخول مملكة الحب والسعادة ؟

وهمّ حبيبهــا بأن يجيبهــا ، فإذا بهــا تسرع بمقاطعته للمرة الثانية قائلة :

ــ انتبه يا مولاى ! انتبــه ! هنا الشباب والجمال والدلال .. من يستطيع أن يقاوم ؟

ولم يملك (عمدة) إلا أن يجيبها مبتسمًا مفتونًا بها :

ــ لا أحد يا مولاتى .. لا أحد ..

ــ إذن وجّه دعوتى الملكية إلى هذا المدعو (هشام البكرى) !

ــ هذا إذا ما كسبنا القضية يا مولاتى .

ــ سيحدث بإذن الله .. سيحدث .

رددتها بنبرة ملكية واثقة ، ثم سارعت بالنزول من فوق عرشها الخيالى ، لتعود ذلك العصفور الجميل الذى يقطر عذوبة ورقة وبراءة وهى تردف قائلة لحبيبها بجم سعادتها :

ــ سأذهب لأعد أحلى إفطار لأشطر وأجمل أفوكاتو فى العالم .

وهمّت بأن تنهض فإذا بلمعة عينيه تخطف قلبها ، فابتسمت مدندنة « آه من سحر عيونه ... » ، ونهضت ماضية إلى المطبخ عصفورًا جميلاً مغردًا ، لا يكاد فضاء الكون يسع سعادته ، ولم يملك الزوج الشـــاب إلاَ أن يشيّعها بنظرة افتتان نهض بعدها قاصدًا غرفته .

★ ★ ★

مثل قطعــة لحــم عُلقت بخطاف بعيد غيــر مرئى تعلق قلب (عماد ذكى) بالحكم المجهول الذى ستصدره محكمة « الجيزة » بعد سويعات قليلة .. إنها أول قضية كبيرة يتولاها بمفرده ، وأول تعامل له مع واحد من رجال الأعمال الذين لا يرى سوى أشباههم فى أفــلام السينما ومسلسلات التليفزيون .. نبوغه فى القضايا الصغيرة التى تولاها ، وقرابة عائلة (سوزى) لأستاذه الدكتور (فتحى الغمراوى) الذى يعمل بمكتبه منذ أربع سنوات ، هما اللذان دفعا الأخير إلى منحــه هذه الفرصة .. وكان رد فعل (هشام البكرى) أن وعــد المحامى الشاب بمكافأة مالية كبيرة فى حالة كسبه الدعوى ، ولم يكن هذا الوعد انعكاسًا لكرم رجل الأعمال بقدر ما كان انعكاسًا لمرارته وإحساسه المرير بالظلم ، ففى مطلع العام الماضى دخل مزادًا لبيع إحدى الشركات الحكومية ، فوفقــه الله ورسا عليــه المزاد ، وبمنتهى الفرحة انطلق يتمم إجراءات العملية ، ولكن فجــأة وبطريقة غامضة وجد العملية تسحب منه وتُعطى لرجل أعمال آخر ، رغم أن السعر الذى تقدم به هذا الآخر أقل من السعر الذى تقدم به هو .. وكاد الرجل يُجن ، وراح يملأ الدنيا صراخًا ، ويطرق كل الأبواب المعنية دون جدوى ، فلم يكن أمامه فى النهاية سوى اللجوء للقضاء ، ولتخرج من رحم هذه المحنة فرصــة العمــر لــ (عمــاد ذكى) ، ولأن المحامى الشاب ذكى فعلاً ، ومن النوع الذى يعرف كيف يزن الفرص ، فقد أسرع يقبض على هذه الفرصة بيديه وأسنانه ، لا طمعًا فى

المكافأة التى وعده بها (البكرى) ، ولكن إدراكًا متناهيًا منه بأن كسبه لهذه القضية سيكون شهادة اعتماده محاميًا نابغًا لدى طبقة (البكرى) بأسرها .. ومن هنا كان جهده الجبــار على مدى تسعة أشهر ما بين دراسة القضية وجلساتها ، ووصولاً إلى مطلب المحامى الشاب بإلزام الحكومة بتعويض موكله بخمسين مليون جنيه عن الأضرار المادية والأدبيــة التى لحقت به ، وانتهاءً بجلسة اليوم الفاصلة .. جلسة النطق بالحكم المتعلق به قلب المحامى الشاب ، والذى يجعل أعصابه توشك على الانفجار سخطًا وقلقًا وهو يجلس بين ركاب الميكروباص المحشــور بين جحافل السيارات الزاحفة بسرعة السلحفاء فى شوارع الجيزة فى رحلة العذاب الصباحية الأبدية داخل محافظة العشرين مليون نسمة ، وبعد أكثر من ساعتين دخل قاعة الجلسة مهرولاً على صياح حاجب الجلسة :

ــ محــكمة .

وجلس المحامى الشاب لاهثًا وهــو يتبــادل إيمــاءة التحيــة مع (هشام البكرى) الجالس خلفه وسط حاشيته .. وفى لحظات كــان رئيس المحكمة يتلــو الحــكم بإلــزام الحكومة بالتعويض الذى طلبه المحامى الشاب لموكله مسبوقًا بمفاجأة أغلى وأعظم ــ ردًا للاعتبار ــ من التعويض المالى وهى اللوم الصريح الذى

وجهه القاضى للحكومة على سلوكها الأعوج الذى يزيد البلاد اختناقًا ، ويزيد أحوالها ترديًا بدلاً من الأخذ بيدها إلى طريق الإصلاح والتقدم ..

و ....

و ....

ولا يستطيع قلم مهما بلغت بلاغتــه أن يصف ما جرى داخل (عماد ذكى) فى هذه اللحظات !!

ففى حين قفــز رجل الأعمال واقفًا وسط حاشيته التى تملأ القاعة هاتفًا بأعلى صوته ، ومن أعمق أعماقه :

ــ يحيا قضاء « مصر » .. يحيا قضاء « مصر » ..

لينفجر صياح حاشيته رجالاً ونساءً مرددين نفس الهتاف خلفه ، ولترفرف زغرودةً عفيةً من وسط القاعة قافزة بالفرحة والانفعال إلى ذروتهما .. فى حين انفجر مشهد الفرحة هكذا ، لم تصدر عن المحامى الشاب سوى حركةً واحدةً مع نفسه .. مال برأسه على يديه مستندًا بمرفقيه على البنــچ أمامه ليدارى دموعه المنسابة فوق خديه .. لم يشغله إذا كان أحد من هؤلاء الهاتجين قد تذكّره أم لا ، ولكنه ما لبث أن وجد نفسه مخطوفًا فى حضن (هشام البكرى) وقــد راح يعتصره فى صــدره بمنتهى العنف ، وكأنه يريد أن يدخله حشرًا من بين ضــلوع صدره إلى سويداء قلبــه .. لم

ينبس أى مــن الرجلين ببنت شـفة وهما فى حضنى بعضهما وكأنهما فقدا النطق .. فقط عناق حار ممتد تبلله دموع المحامى الشاب ، حتى إذا ما شعر بها رجل الأعمال رفع رأس محاميه بين كفيه ، محلقًا على وجهه بنظرة تهـدر بالامتنان ، قائلاً له بمنتهى الصدق :

ــ اؤمــر تُطاع يا أنبغ أفوكاتو .

وكان رد المحامى الشاب بمنتهى الخجل :

ــ زوجتى تدعوك لأن تشاركنا عيد زواجنا الليلة .

وفوجئ رجل الأعمال ، والتفت ناظرًا إلى حاشيته فى دهشة ، فإذا بابتساماتهم تضىء وجوههم جميعًا ، فما كان منه إلا أنه انفجر ضاحكًا وهو يخطف (عمدة) فى حضنه مرة أخرى .

★ ★ ★

الفصل الثانى

روعة الزينات الغزيرة الملونة ، ونعومة الأنوار الرومانسية ، وبهجة أغنيات الــ « دى چــى » ، وتوافد الأهل والأصدقاء وكل الأحبة بوجوه باشة وهيئات بهية أحالوا الشقة البسيطة بانوراما تتوهج بالبهجة والسعادة ، وفستان (سوزى) السواريه الجرىء وزينتها الراقية كشفا عن فتنتها التى لا تُقاوم ، وجعــلا العيون تلاحقها فى افتتان أينما خطت وهى تحلّق بين ضيوفها كغزال فاتن هيَّجته سعادته ، حتى (عماد) نفسه راح بين التفاتة وأخرى يتوقف بعينيه عليها مبتسمًا فى دهشة وهو يشاركها الترحيب والاحتفاء بضيوفهما ، وكأنه يراها لأول مرة حتى انتبهت له ، فكان ردها ابتسامة وغمزة دلال نارية من طرف عينها كادت تدفعه إلى اختطافها فوق ذراعيه ، والانطلاق بها إلى غرفتهما لولا أنها أسرعت تهمس له باسمة :

ــ اعقل يا عمدتى ! امسك نفسك !

وكان رد عمدتها سريعًا بهياجه المكتوم :

ــ لا أنا ولا عشرون مثلى يستطيعون إمساكها الآن يا غزال البرارى .

وغردت ضحكة (سوزى) صداحة مشتعلة بالأنوثة والدلال ، فكانت هتفــة شـــاب يقف مع أصدقائه فى خفوت وهو يتأملها مبتسمًا مفتونًا :

ـ الرحمة يا أسيادنا .

فى حين رمقتها حماتها العفية المحجبة بنظرة مستنكرة ناقمة من مجلسها فى ركن الريسبشن ، ثم التفتت إلى زوجها الجالس إلى جوارها مغمغمة فى سخط :

ـ أستغفر الله العظيم .

وكان رد الزوج الستينى العمر فى طيبة وتبسُّم وهو يواصل تمرير حبات مسبحته بين إصبعيه :

ـ يا حاجة دعيهم يفرحوا .

وكان ردها فى غيظ منه هو أيضًا :

ـ ومال الفرح بالخلاعة يا حاج (ذكى) ؟

وتدخَّل (عـــادل) شقيق (عماد) الثلاثينى العمر مخاطبًا أمه بخفة ظله :

ـ خلاعة ! يا حاجة (اعتـــدال) .. يا حاجة (اعتدال) نحن فى 2003

التفتت إليه الأم المتعافية فى تحفز :

ـ وماذا تعنى 2003 إن شاء الله ؟

ـ تعنى أن كلمة « خلاعة » هذه سبة فيها محاكمة ، وفيها ثلاثة شهور مشفيين على الأقل فى « طرة » .

كادت تبصق على وجهه لولا أنه سبقها بطبع قبلة خاطفة على خدها كى ينقذ نفسه ، ولكن لسانه أبى إلا أن يهلكه :

ـ ثم إنك أنت تحديدًا يا حاجة يحق لك أن تفرحى أكثر من كل الموجودين .

حدجته ساخرة :

ـ لمـــاذا إن شاء الله ؟

ـ لأن أخى الولـــد (عماد) استطاع بشطارته الإيقاع بغزال حكاية كهـــذا ، ومصاهرة عائلة سوبر كهـــذه لم نكن نحلم بمصاهرتها .

ومع آخر حرف نطق به كان قد قفز جريًا تاركًا الأم البركانية تكاد تحرقـــه حرقًا بنظراتهـــا .. وفوجئ به أبوا (سوزى) الجالسان فى صدر الريسبشن يجلس بينهما ناقلاً عينيه بينهما فى تبسُّم ، وقائلاً فى رجاء :

ـ دكتور (رمزى) .. دكتورة (يسرية) .. لى عندكما أمنية أغلى من عينىَّ .

تبادل الأبوان النظر فى دهشة ، ثم التفتت إليه الدكتورة (يسرية) متسائلة :

ـ اؤمر يا أستاذ (عادل) !

ـ تنجبان لى (سوزى) أخرى كى أتزوجها .

انفجر الأبوان ضاحكين ، ثم كان رد الدكتور (رمزى) بخفة ظل راقية :

ـ لو سمعتك زوجتك لضربتك فى الخلاط .

وضج الثلاثة بالضحك مرة أخرى وهم يتطلعون إلى (سوزى) وهى تقف مع (عماد) الذى راح ينظر فى ساعة يده ، ثم رفع عينيه إلى (سوزى) بنظرة إحباط ، فكان سؤالها بفرحتها :

ـ ماذا يا عمدتى ؟

ـ (البكرى) باشا .

ـ ها هو .

قالتها وهى تنظر من فوق كتفه نحو باب الشقة ، فأسرع يلتفت ، فإذا بـــ (هشام البكرى) يدخل ، فما كان من (عماد) إلا أنه اختطف (سوزى) من يدها ، وأسرع إليه يسبقه ترحيبه الحار :

ـ أهلاً أهلاً بعم باشوات « مصر » .

وتلقَّاه (هشام البكرى) معانقًا فى حب وبشاشة :

ـ أهلاً بك يا حبيب قلبى .

ثم التفت إلى (سوزى) مبتسمًا ، فأسرع (عماد) يقدمها له :

ـ المدام ، (سوزان رمزى) ، مهندسة برمجيات سابقًا ، وحبيبة قلبى ومهندسة حياتى حاليًّا .

مد (هشام البكرى) يده لها مصافحًا فى حرارة :

ـ أهلاً (سوزان) هانم .

ـ (سوووووزى) ، (سوزى) وبدون « هانم » يا (هشام) باشا .

هكذا أجابته (سوزى) فى حميمية ودلال ساحر ، وفوجئ (هشام البكرى) ، وأسرع يلتفت إلى (عمــاد) بدهشته ويده مطبقة على يدها ، فكان رد (عماد) مبتسمًا :

ــ (سوزى) يا (هشام) باشا عصفور خارج القفص .

ــ إذن فأنت معبودها يا رجل .

قالهــا (هشــام البكرى) بإعجــاب شديد ، واستطرد تاركًا (سوزى) تسحب يدها من يده برقة :

ــ المرأة تعشق الحرية ، وتعشق أكثر من يمنحها حريتها .

ــ عفوًا يا (هشام) باشــا ، الحرية ليست منحة ، إنها حق كل كائن حى ، وأكثر الكائنات استحقاقًا لها هى المرأة باعتبارها أرق وأجمل ما خلق الله .

هكذا تلقّى رجل الأعمال الوسيم احتجاج (سوزى) سريعًا مغلّفًا بابتسامتها الذكية الساحرة ، فلم يملك إلا أن يرفع حاجبه إعجابًا ، ثم التفت إلى (عماد) مهنئًا بنظرة باسمة ، فكان رد المحامى الشاب بفخر وتبسُّم وهو يحلّق بعينيه على وجهها :

ــ إنها أول وأعظم قضية كسبتها يا (هشام) باشا .

ــ وأنا أهنئك عليها يا متر .

قالها (هشام البكرى) بابتســامة جميلة صافية ، ثم مد يده داخل جيب بليزره مستخرجًا علبة مجوهرات حمراء قدمها إلى (سوزى) قائلاً :

ــ عيد زواج سعيد يا أجمــل (سوزى) فى الدنيا ، وعقبال 100 سنة زواج وسعادة .

تناولت (سوزى) العلبــة وفتحتهــا ، فــإذا بسلسلة ذهب يتوسطها قلب كبير سميك فى منتهى الروعة ، رفعته أمام عينيها هاتفة فى انبهار شديد :

ــ الله !

ــ افتحيه يا قمر !

فعلت ، فإذا بصورة (عماد) منقوشة بداخل القلب بإبداع عجيب وبمنتهى الوضوح ، خفق قلبها بشدة وهى تحملق فيها مأخوذة ، ثم التفتت إلى (عماد) تريها له ، فكان انبهاره أشد منها ، والتفت بدوره إلى (هشام البكرى) يسأله مذهولاً :

ــ كيف يا باشا ؟! سيادتك لم تعلم بهذه المناسبة إلا من ساعات قليلة ، فكيف استطعت أن تفعل هذا بهذه السرعة ؟! ومن أين حصلت على صورتى ؟!

ولم يملــك (هشــام البكرى) إلا أن يبتسم مشفقًا عليهما من فعل المفاجأة بهما ، ثم كان جوابه بمنتهى الهدوء والبساطة :

ـ يا (عمدة) يا حبيبى .. ما أريده أحصل عليه وبأسرع ما يمكننى .

وعاد الزوجان الشابان يحلقان فى الهدية الرائعة بدهشتهما ، فما كان من (هشام البكرى) إلا أنه داعبهما قائلاً :

ـ ما الحكاية يا أمراء الحب والجمال ؟ أليس لديكما مقعدًا تجلسانى به ؟

انتبه الزوجان الشابان ، وأسرعا يتسابقان فى الجواب :

ـ تفضل يا باشا .. تفضل .

وقـاداه إلى صدر الريسبشن ليقدماه إلى الدكتـور (رمزى) والدكتورة (يسرية) .

★ ★ ★

ـ قبل أن تقول شيئًا أنا آسف جدًا يا (عمدة) .

قالها الدكتور (فتحى الغمراوى) وهو يخرج من خلف مكتبه مستقبلاً (عماد) بحميمية بالغة ، وكان رد الأخير بعدم رضا واضح فى نبرته وعلى وجهه :

ـ لا عليك يا دكتور .

وأدرك المحامى الكبير ما بنفس تلميذه ، فوقف أمامه يدافع عن نفسه :

ـ اسمع عذرى أولاً يا (عمدة) قبل أن تظلمنى ، والله العظيم أنا ركبت سيارتى وتحركت بها قاصدك ، فإذا بتليفون من أختى تخبرنى بأن ابنتها فى مستشفى (البدرى) فى حالة تسمم ، فلم أدرِ بنفسى إلا وأنا أستدير بالسيارة منطلقًا إليها ، وهناك تبين لنا أنها أكلت سندوتشًا فاسدًا فى كافتيريا الجامعة ، ولولا العناية الإلهية لراحت فيها .

انفلتت هتفة (عماد) بمنتهى الانزعاج :

ـ يا ساتر يا رب !

ـ والله العظيـم هـذا هو ما حـدث يا (عمـاد) دون زيادة أو نقصان ، وتستطيع أن تتصل بالمستشفى وتتأكد بنفسك .

ـ العفو يا دكتور .. العفو .. وكيف حالها الآن ؟

ـ الحمد لله .. المهم أنك تسامحنى .

انفرجت أسارير (عماد) :

ـ العفو يا افندم العفو .

وانشرح وجه الدكتور (فتحى) ، وأخذ تلميذه بين يديه طابعًا قبلتين فوق خديه :

ـ كل عيد زواج وأنت سعيد يا شقى .

ـ شكرًا يا أستاذى العظيم .

ـ هديتكما أنت والمدام موجودة ، ولكن بالطبع مكانها ليس هنا ، حدد الموعد الذى يناسبكما كى أقدمها لكما فى عشكما الوردى .

وأضاءت ابتسامة (عماد) وجهه :

ـ يا أستاذى الفاضل ، أولاً : البيت بيتك فى أى وقت ، ومجرد دخولك فيه شرف كبير لنا ، ثانيًا : حضرتك عندنا أجمل هدية فى الدنيا .

ـ شكرًا يا حبيب قلبى .. اجلس !

وجلس (عمـــاد) ، بينمــا عاد الدكتور (فتحى) إلى مقعده خلف المكتب الضخم الأنيق ، ثم مد يده بعلبة سجائره الروثمان لتلميذه ، فسحب الأخير منها سيجارة أشعلها له الدكتور بولاعته الفخمة ، وهو يسأله :

ـ ها ، جاءك (هشام البكرى) ؟

ـ نعم يا افندم .. إنه رجل لا يتخير عن حضرتك فى الذوق .

ـ شكرًا يا (عمدة) .

وسحب الدكتـــور (فتحى) نفسًا متأنيًا من سيجارته ، ثم عاد يقول لتلميذه بنظرة مبتهجة :

ـ زيارته لك فى البيت معناها إن أبواب السعد فُتحت لك .

وكان رد (عماد) فى سعادة رصينة :

ـ الفضل لله ، ثم لسيادتك يا أستاذى .

ـ بل الفضل لله ، ثم لاجتهادك وذكائك يا متــر .

ثم أردف المحامى العجوز وعيناه على تلميذه بنظرته المنتشية :

ـ أنت فعلاً نابغة يا تلميذى الوسيم .

ـ شهادة عظيمة من أستاذ عظيم .

وفصلهما الصمت لوهلة .. صمت (عماد) تأدبًا متيحًا فرصة الحديث لأستاذه ، حيث بدا واضحًا أنه يريد أن يقول شيئًا ، بينما راح الأستاذ يتفرس وجه تلميذه بنظرته المبتهجة ، وكأنه ينتظر منه أن يخبره شيئًا ، فلما لم يحدث لم يجد مفرًا من سؤال تلميذه :

ـ ألم يفاتحك فى شىء ؟

ـ دعانى لزيارته فى مكتبه غدًا .

أضاءت وجه الأستاذ ابتسامة سعادة :

ـ نعم هكذا يا رجل ! ألم أخبرك بأن أبواب السعد فُتحت لك ؟



ـ البركة فيك يا أستاذى .

ـ البركة فى ربنا يا فتى .

وأخذ الأستاذ نفسًا خاطفًا من سيجارته ، ثم أردف بسعادته الصادقة :

ـ إنها فرصة العمر لك ، وعليك أن تُحسن استغلالها .

أطرق المحامى الشاب بعينيه إلى الأرض مبتسمًا لوهلة ، رفع بعدها عينيه إلى أستاذه قائلاً فى أدب وتبسّم :

ـ يا أستاذى حضرتك خير من يعرفنى ، وتعلم أننى لست من منتهزى الفرص .

انفلتت من الأستاذ ابتسامة استنكار لرد تلميذه وما فيه من سذاجة متعمدة ، ولكنه ما لبث أن تظاهر بأنه صدّق سذاجة تلميذه ، فكان رده عليه فى كياسة :

ـ انتهاز الفرص ليس عيبًا يا متر ، ولكن علينا أن نتذكر دائمًا أن هناك فرصًا مشروعة وفرصًا غير مشروعة ، وأن الأولى محللة لنا ويحق لنا أن نقبض عليها بأيدينا وأسناننا ، بينما الثانية هى الحرام بعينه ، واستغلالها هو العار بعينه .

وتعلّقت عينا التلميذ بأستاذه فى توتر خفى ، وكأن الدرس مس وترًا خفيًا بداخله .

★ ★ ★

الفصل الثالث

ـ ما هذا ؟! هل نمثل فيلمًا سينمائيًّا ؟!

قالتها (سوزى) غير مصدقة نفسها لـــ (عماد) الجالس إلى جوارها فى المقعد الخلفى للسيارة « الأفيو » وهى تمضى بهما فى ممر قصر (هشام البكرى) الطويل المصفوف من الجانبين بأشجار « الزيزفون » الوارفة العملاقة ، وكان رد (عماد) عليها بدهشة لا تقل عن دهشتها وهو يحتضن كفها الصغير فى يده ، وعيناه تجريان على صف الأشجار الذى على يمينه :

ـ ويا له من فيلم !

وخرجت السيارة من الممر المسقوف بأغصان الأشجار المتعانقة لتظهر صفحة مياه مضويّة بزرقة السماء لبيسين مستطيلى ، يكاد يقارب ملعب كرة القدم فى مساحته ، ويتوسط أرضية رخامية عسلية اللـــون تكاد تفـــوق المرايا بريقًا ، وقف فوقها (هشام البكرى) بطوله الفـــارع ، وبنياته القوى ، وتَى شيرته وبنطلونه الأبيضين الناصعين يتحدث فى موبايله ببشاشته المعهودة ، بينما حراسه الشباب الأشداء ببدلاتهم الكاملة يحيطون به من بعد أمتار قليلة كالصــقور المشدودة .. وتوقفت السيارة ، وأسرع

سائقها بفتح بابيها الخلفيين لينزل (عماد) و(سوزى) ، بينما أسرع (هشام البكرى) بإنهاء مكالمته ليقبل عليهما مهرولاً ، يسبقه ترحيبه الحار :

ـ أهلاً .. أهلاً .. أهلاً ..

وقبض على يد (عماد) مصافحًا بمنتهى الحميمية :

ـ حمد لله على السلامة يا متـر .

ـ الله يسلمك يا باشا .

وازداد حميمية وفرحة وهو يصافح (سوزى) :

ـ حمد لله على السلامة يا قمر .. نورتى مكانك .

ـ مرسيه يا باشا .

ـ تفضلا !

ومضى بهما إلى داخل القصر ، ومع أول خطوة لهما داخل البهو انفلتت منهما غمغمتيهما فى نفس واحد بمنتهى الدهشة :

ـ بسم الله ما شاء الله .

وانطلقت عيونهما تدور مبهورة فى البراح الذى يفوق فنادق السبع نجوم براحًا وفخامة وإبهـارًا ، وتفـوق روعة وبهاء

ديكوراته وأثاثه أى خيال ولو كان خيال شعراء ، وكان أول تعليق لـ (عماد) وعيناه معلقتان بالنجفة العملاقة المدلاة من السقف كرأس شجرة عملاقة أغصانها من الذهب ووريقاتها من الكريستال :

ـ يُخيل إلىّ أن ثمن هـذه النجفـة يكفينى لفتح المكتب الذى أحلم به .

وابتسم (هشام البكرى) ، فى حين توقفت عينا (سوزى) على غزالة من المرمر الخالص بالحجم الطبيعى تقف فى أحد الأركان وقد بدت وكأنها تستقبل (سوزى) بنظرة مفعمة بالألفة والترحاب ، مما جعل الأخيرة تتقدم منها مندهشة خافقة القلب حتى وقفت أمامها تتأملها مفتونة بجمالها ، فإذا بها يُخيل إليها أن عينى الغزالة تضطربان خجلاً منها ، فلم تملك إلا أن تبتسم لتهيئُها ، فإذا بسؤال (هشام البكرى) من خلفها :

ـ ماذا يا قمر ؟

ـ خُيل إلىَّ أن غزالتك أغمضت عينيها خجلاً منى .

انسابت ابتسامته الحانية :

ـ لم يُخيَل إليك .. هذا حدث فعلاً .

وجدت نفسها تتطلع إليه متسائلة ، فكان رده بابتسامته :

ـ ألقى إليها بقبلة وسوف ترين منها ما هو أكثر .

ابتسمت (سوزى) معاتبة :

ـ مقبولة منك يا باشا .

ـ أنا لا أسخر منك .. افعلى من فضلك !

وجدت نفسها تتفرسه بنظرة باسمة ، فإذا به جاد فى طلبه .. استدارت نحو الغزالة ملقية إليها بقبلة ، فإذا بها تغمض عينيها تمامًا وقد سرت حُمرة الخجل فى وجنتيها المرمريتين ، ولتنفلت هتفة (سوزى) بمنتهى الانفعال :

ـ عمــــاد !

وأقبل (عماد) الذى كان على بعد خطوات غارقًا هو أيضًا فى دهشته مما يراه بالناحية الأخرى من اللوبى ، لتهتف فيه (سوزى) بذهولها :

ـ انظــر !

وراحت تعيد عليه مشهدها السابق مع الغزالة ليضربه الذهول هو أيضًا ، وليجد نفسه يسأل (هشام البكرى) بجـــم ذهوله وعيناه معلقتان بعينى الغزالة المغمضتين ووجنتيها الحمراوين :

ـ ما الحكاية يا (هشام) باشا ؟! هل استحضرت هذا القصر من أساطير ألف ليلة وليلة ؟!

انسابت ابتسامة (هشام البكرى) الرصينة :

ـ وماذا يكون زمان ألف ليلة وليلة بجانب زماننا هذا يا متر ؟ القصـــور الآن تُبنى فى قاع البحار والمحيطات ، وخير شاهد على ذلك قصر الملك العربى الراحل الذى بناه فى قاع المحيط منذ سنوات قليلة ، ثم ما طائرات حكام وبليونيرات زماننا سوى قصور بأجنحة تحلَق فى السماء ، شاهدة على تفوق زماننا على زمان ألف ليلة وليلة بألف زمان وزمان .

هدأت دهشة (عماد) :

ـ عندك حق يا باشا .. عندك حق .

ـ تفضـــلا !

ومضى بهما (هشام البكرى) عبر البهو إلى الفراندة الغربية للقصر ليجــدا نفسيهما أمام منظـــر ترفرف له الروح .. بحيرة

صناعية ممتدة لعشرات الأمتـار تسبح فوق صفحتها الفضية أسراب من البجع والأوز الأبيض الشاهى فى وداعـة واسترخاء مولدة تلك الدوائر المائية الساحرة ، ومـن حول البحيرة تمتد حدائق الفـل والياسمين وقـد تفتحت زهورها بألوانها الزاهية البهيجة ، وفاحت بعبقها الساحر فى نعومة وابتهاج ، ومن حول الفل والياسمين دارت أشجار المانجـو ، وقـد انطلق من بين أغصانها الوارفـة المثمرة تغريد العصـافير عازفًا لحنًا متوترًا خجولاً كهمس العذارى ، أما فى الأعلى البعيد فوق حد الأفق فقد وقفت شمس الأصيل بوجهها المتوهج احمرارًا تلقى بنظرة الوداع على نصف مملكتهـا الشرقى قبل رحيلها إلى النصف الغربى .. المشهد فى جملته جعل همهمة (سوزى) تنساب من قلبها :

ـ الله !!

وسمعها (هشام البكرى) ، فابتسم قائلاً لها وهو يشير لهما بالجلوس فى مقاعد طقم البامبو الفاخر :

ـ واضح أن قمرنا معجون بالرومانسية .

وكان جوابها فى تبسم وإطراء وهى تجلس بينه وبين زوجها :

ـ كل بنات حواء رومانسيات يا (هشام) باشا .

وتدخَّل (عماد) منبهها فى مرح :

ـ انتبهى يا عصفورتى ! نحن فى حضرة رجل أعمال .

فالتفت إليه (هشام البكرى) متسائلاً فى تبسم :

ـ ماذا تعنى يا متـر ؟

وجاءه الجواب من (سوزى) بخفة ظل :

ـ يعنى أن الرومانسية عند حضراتكم سلعة خاسرة .

ـ يا ساتر ! لمـاذا ؟!

ـ لأن قلوبكم معلقة بأموالكم ، ولا مكان فيها للعواطف .

انفجـر (هشـام البكرى) ضاحكًا من قلبه ، فى حين أسرع (عماد) ينبه زوجته لصراحتها الجارحة :

ـ (سوزى) !

فأسرع (هشام البكرى) يعفيه من الحرج :

ـ دعها يا متر .. دعها .

ثم التفت إليها قائلاً بسعادته :

ـ من زمن طويل لم أضحك هكذا .

تطلعت إليه مندهشة :

ــ وهل فى رأيى ما يُضحِك إلى هذا الحد يا (هشام) باشا ؟!

ــ نعم يا عصفورتنا الجميلة ؛ لأن فيه تناقضًا أشبه بالنكتة ؛ اعترفت بعواطفنا ، بل وبشدتها ، ثم أنكرتها فى نفس العبارة .

ازدادت دهشة :

ــ أنا فعلت ذلك ؟!

ــ نعم فعلت ، قلت إن قلوبنا معلقة بأموالنا ، وهذا يعنى أن قلوبنا ممتلئة بحب المال ، أى ممتلئة حبًّا بغض النظر عما تحبه ، ثم قلت إن قلوبنا لا مكان فيها للعواطف ، فهل هناك أفكه من هذا تناقضًا ؟

ابتسمت لتفسيره ، وأسرعت تزود عن نفسها :

ــ يا (هشام) باشا .. يا (هشام) باشا .. أنا أعنى عواطف أخرى غير حب المال .

ابتسم لبراءتها :

ــ يا عصفورتنا .. يا عصفورتنا .. من يحب شيئًا قادر على أن يحب غيره ، وخاصة إذا كان أجمل منه .

ــ وهل يوجد فى نظركم ما هو أجمل من المال ؟!

ــ نعـم .

قالها وهو يمد حروفها للتأكيد ، فانتفض فضول العصفورة :

ــ ما هو ؟

وكان جوابه وعيناه تحلقان على وجهها الفاتن بمنتهى الشقاوة :

ــ بنات حواء الرومانسيات .

★ ★ ★

وجاءت خادمة فلبينية شـــابة لتخبـــر (هشام البكرى) بلغة عربية مكسَّرة :

ــ الغداء جاهز يا باشا .

صرفها (هشام البكرى) بإشارة من يده ، ثم التفت إلى ضيفيه متسائلاً فى تعجب باسم :

ــ غداء مع غروب الشمس ؟!

وجاءه الرد سريعًا من (عماد) :

ــ غصب عنى والله يا باشا ، فكما أخبرت سيادتك كان عندى مرافعة فى (الزقازيق) .

ــ وخير إن شاء الله ؟

ــ خير والحمد لله يا افندم ، انتزعت فيها البراءة لموكلى من فك الأسد .

ضحك (هشام البكرى) إعجابًا :

ــ أنت الأسد نفسه يا متر ، وأنا أشهد لك بذلك .

ونهض قائلاً :

ــ تفضـــلا !

ومضى بهما إلى قاعة الطعام وهو يغمرهما بحفاوته الدافئة ، ليجدا فى انتظارهما مائدة ضخمة مغطاة بأشكال وأصناف من أطعمة تكفى دستة من الضيوف ، وتنطق روائحها بفخامتها .

★ ★ ★

وعاد الزوجان الشابان إلى شقتهما مع نسمات الفجر الصيفية بسعادة تكاد تطير بقلبيهما .. عادت بهما نفس سيارة (هشام البكرى) التى حملتهما إلى قصره قبل ساعات ..

وفى لحظـــات كانا قـــد فرغا من تبديل ثيابهما ، وجلسا فوق سريرهما متقابلين يبسطان بينهما العشرين رزمة التى عادت معهما ، حتى إذا ما فرغا من بسطها راحا يزحفان عليهـــا بعيونهما ذاهلين غير مصدقين ، حتى وجد (عماد) نفسه يردد بجم ذهوله :

ــ عشرون ألف جنيه أتعاب أول قضية ؟! عشرون ألف ؟!

انتبهت (سوزى) من ذهولها ، فرفعت وجهها إلى أعلى متمتمة بحمد الله فى فرحة وانشراح ، ثم أمسكت بيدى (عماد) تداعبه بفرحتها :

ــ لا يا حبيبى .. إنها ليست أتعابك .. إنها هدية شخصية من (هشام البكرى) كما أخبرك هو بنفسه ، أما الأتعاب فقد ابتلعها الدكتور (فتحى الغمراوى) ، ومؤكد كانت رقمًا من ذوى الخمسة أصفار على الأقل .

ــ هذا لا يمنع أنها كثيرة علىَّ يا حبيبتى فى أول قضية .. كثيرة فعلاً .

ــ لا يا حبيبى ، لا تقل هذا .. إنه رزقك .. فضل الله عليك ، فهل تستكثر فضل الله عليك ؟ ثم هل نسيتَ كم كانت هذه القضية صعبة ؟ وكيف كان الأمل فى كسبها شبه معدوم ؟ هل نسيت كم

تعبت فيها ؟ هل نسيت سهرك الليـــالى عليهـــا ؟ ثم وهو الأهم يا حبيبى هــل صـــدقت حقًا أن الدكتـــور (فتحى) منحك هذه القضية لقرابته لعائلتى أو تشجيعًا لك كما أخبرك ؟ لا يا أستاذ .. لا لقـــد رماها عليـــك لأنه لم يكـــن لديـــه أدنى أمـــل فى كسبها من ناحيـــة ، ولم يكن يســـتطيع رفضـــها لأنه لا يســـتطيع أن يرد للبكـــرى طلبًا من ناحيـــة أخرى ، أى أنه باختصار أراد أن يتخلص منها دون أن يخسر (البكرى) فعلقها فى رقبتك وتركك أنت ونصيبك .

وجد (عماد) نفسه يتطلع إلى (سوزى) مبتسمًا متعجبًا :

ـ حبيبتى ، ماذا تريدين أن تقولى ؟

ـ أريد أن أقول إن العدل كان يقتضى تبديل القسمة ، فتأخذ أنت أتعاب القضية كاملة ، وتذهب هذه الهدية الرقيقة إلى الدكتور (فتحى) .

ضربت الدهشة (عماد) ، وانفجر ضاحكًا :

ـ (سوزى) حبيبتى ، هل كنت تريديننى أن أقبض رقمًا من الخمسة أصفار فى أول قضية ؟!

فاض الحب على وجه (سوزى) وفى نبرتها :

ـ يا حبيبى أنا لست بهذه السذاجة ، ولكنى فقط لا أريدك أن تستكثر شيئًا على نفسك ، فأنت إنسان مجتهد ومخلص فى عملك ، وتستحق كل خير .

وفاح حبها ونبلها فى وجدانه ، فرفع كفيه محتضنًا بهما وجهها الملائكى الجميل بمنتهى الحنو :

ـ وعصفورتى الجميلة ماذا تستحق ؟

تعلقت عيناها بعينيه فى براءة :

ـ السؤال ليس هكذا يا حبيب العصفورة ، السؤال : ماذا تريد منك عصفورتك ؟

ـ ماذا تريد منِّى عصفورتى ؟

ـ وهل لديك الاستعداد لأن تمنحها ما تريد ؟

ـ ولو كان فوق استطاعتى ، ماذا تريد ؟

ـ تريد عقد ملكية ؟

انفجر ضاحكًا ظنًا منه أنها تمازحه :

ـ هل طلبت معك شقاوة يا عصفورتى ؟!

انسابت ابتسامتها الحلوة :

ــ أنا لا أمزح يا عمدة .

أسرع يعتذر بقبلة حانية على خدها :

ــ وأنا تحت أمرك يا حبيبة العمدة ، أية ملكية تريدينها ؟

سبحت فى عينيه بنظرة مندفعة إلى قلبه :

ــ ملكية قلبك .

فوجئ ، وانفجر ضاحكًا مرة أخرى ، فتطلعت إليه معاتبة :

ــ طلبى مُضحك ؟!

بصعوبة أوقف نوبة ضحكه :

ــ نسيانك هو المضحك يا عصفورتى .

وعاد يحتضن وجهها بكفيه ، مردفًا بكل ما فى قلبه من حنان :

ــ هل نسيت يا عصفورتى التى أعشقها عشق الروح والحياة ؟! هل نسيت أنك أخذت عقدًا بهذه الملكية مرتين ؟! مرة يوم اعترفنا لبعضنا بحبنا قبل زواجنا بعامين وثلاثة شهور ، والثانية ليــلة أن ضــمتنا هــذه الغرفة وهــذا الفراش ، ليــلة زفافنا ؟ هل نسيت هذا ؟

وخفق قلب العصفورة :

ــ لا يا حبيبى ، لا ، لم أنسه ، ولن أنساه ، ولكن ما أريده منك الليلة هو ضمانًا بعدم فسخ هذا العقد تحت أى ....

أسرع يقاطعها :

ــ مستحيل يا حبيبة قلبى .. مستحيل فسخه .. إنه عقد مفتوح إلى نهاية عمرى .. إلى آخر نفس فى صدرى ، وآخر نبضة فى قلبى وفى عروقى ، أتعلمين لماذا ؟ لسبب بسيط جدًّا ، وهو أن قلبى حىٌّ بك ، ينبض بك ، شرايينه وأوردته موصولة بكِ ، ويوم تخرجين منه يوم تتمزق جميعها ، ويكون النزيف حتى الموت ..

★ ★ ★



الفصل الرابع

على ناصية حارة « السواكنى » نزلت (سوزى) من التاكسى ، وراحت تشق طريقها فى الحارة الترابية الضيقة بين الأطفال الذين يملئونها لعبًا وصخبًا بثيابهم البالية المتسخة ، وبين عيون النسوة المتحلقات جلوسًا فوق التراب أمام البيوت العتيقة التى تزفر بعطن الحمامات البلدى والجدران والأثاث والثياب المتسخة وعرق الأبدان ، ومخلفات الطيور والقطط والكلاب والحشرات الزاحفة والطائرة ، وكل ما هو محشور داخل البنايات البائسة المستكينة على الجانبين .. مضت العصفورة الفاتنة بنت الأكابر بجمالها وأناقتها وبارفانها الأنوثى المميز ، حتى سمعت هتفة الشقاوة التى اعتادتها كلما جاءت إلى الحارة :

ـ يا عصافيرك السوبر يا « مصر » !

وكعادتها رفعت عينيها بابتسامة إطراء خجلى إلى (عادل) المطل من شرفته بالطابق الثانى ، ثم دلفت إلى المنزل ، فإذا بالطريق مقطوع عليها بسيدة شابة تجلس إلى طلمبة الماء الصدئة التى تحتل المدخل ، وقد انهمكت فى غسل كوم هائل من الثيـــاب فى « طشت » صاج تحت الطلمبة ، بينما وقف متشبثًا بظهرها طفلها

الذى يقارب العامين من عمره عارى النصف الأسفل ، ومنخرطًا فى البكاء دون أن تعيره اهتمامًا ، ولكنها بمجرد أن انتبهت إلى (سوزى) هبت واقفة مفسحة لها الطريق وهى تعتذر بمنتهى الأدب :

ـ لا مؤاخذة يا مدام .. تفضلى .

وجاءها رد (سوزى) فى تبسم حنون :

ـ متشكرة .

وهمت بأن تجتاز السيدة المبللة ، فإذا بها تنتبه إلى الطفل الباكى ، فأسرعت تميل عليه مداعبته فى حنو :

ـ النونو الجميل يبكى لماذا ؟

وأردفت تسأل أمه :

ـ ما اسمه ؟

ـ محمــد .

ـ ربنا يحرسه لك .

قالتها وهى تخرج من حقيبتها خمسين جنيهًا ، مدت بها يدها إلى الأم فى بشاشة وحنو :

ـ ممكن تشترى له لعبة حلوة ؟

وفوجئت الأم الشابة ، وأسرعت تجيبها بعزة نفس وتبسم ، ودون أن تمد يدها إلى النقود :

ـ شكرًا يا ست الكل ، عنده أكثر من عشرين لعبة .

ـ لا تكسفينى يا أم (محمد) .

وترددت الأم الشابة ، ولكن ابتسامة (سوزى) وطيبتها البادية على وجهها جعلتها تأخذ النقود من يدها ، داعية لها فى خجل :

ـ ربنا يزيدك يا ست الكل .

وعـــادت (سوزى) تطبع قبلة حانيـــة على خـــد الطفل ، ثم مضت صاعدة السلم الأسمنتى المتهالك ، فإذا بالحاج (ذكى) واقف مع الحاجة (اعتدال) وعادل على الدرجة الأخيرة مرحبًا بها بمنتهى الفرحة :

ـ ما هذا النور ؟!

وصافحته (سوزى) واضعة قبلتين على خديه بفرحة وحب :

ـ نورك يا بابا .

وصافحت الحاجة (اعتدال) متبادلة القبلات معها :

ـ وحشتنى يا ماما .

وكان رد الحاجة (اعتدال) بفتورها الطبيعى :

ـ شكرًا يا حبيبتى .

وتدخَّل (عادل) بشقاوته البريئة :

ـ وأنا لا ؟

ـ وأنت وحشتنى أكثر يا دبور المطرية .

ـ شكرًا يا عصفور الجناين .. تفضلى .

ودخلوا بها إلى الشقة المتواضعة ، جلست بينهم فى الأنتريه المتهالك ، بينما الحاج (ذكى) يواصل ترحيبه بها بطيبته وفرحته :

ـ مليون مرحب بك يابنتى .. نورت مكانك .

ـ المكان منوّر بأهله يا بابا .

والتفتت إلى الحاجة (اعتدال) :

ـ كيف حالك يا ماما ؟

ـ الحمد لله يا حبيبتى .



والتفتت إلى (عادل) :

ـ كيف حالك يا دبور « المطرية » ؟

ـ ناقصنى عصفور مثلك يا عصفور الجناين .

ـ وهل يملأ عينيك عصفور واحد يا عم الدبور ؟ أقلها شجرة عصافير .

وضـــجوا جميعًا بالضـــحك ، ونهض (عادل) مسرعًا إلى المطبخ ليعود منه فى لحظات بصينية عصير مانجو مثلج ، وضعها على المنضدة الصغيرة التى تتوسطهم ، وراح يوزع أكوابها عليهم بادئًا بـــ (سوزى) ، ثم عاد يجلس فى مكانه وقد هم بأن يقول شيئًا لـــ (سوزى) لولا أن أمه كانت أسبق منه بسؤالها فى استنكار يقارب التوبيخ :

ـ ما الحكاية يا (سوزى) يا حبيبتى ؟ هل صارت عادة أن تأتى بمفردك بدون (عماد) ؟ ألم تعد الحارة تعجبه ؟ يريد أن ينساها ؟

وفوجئت (سوزى) وضربها الانزعاج :

ـ لماذا تقولين هذا يا ماما ؟!

ـ لأن هذا هو الحاصل .

ـ لا يا ماما لا ، (عماد) عمره ما يفكر بهذه الطريقة .

ـ إذن بماذا تفسرين عدم مجيئه منذ زواجكما العام الماضى سوى مرة واحدة ؟ وكانت بسبب مرض عمك (ذكى) ؟

ـ يا ماما غصب عنه .. إنه طول النهار فى المحاكم وبالليل فى المكتب .

ـ والمحاكم والمكتب هؤلاء ألا يأخذون يوم إجازة واحدًا فى الأسبوع ؟ أو حتى فى الشهر ؟

ـ الإجازة الذى يأخذها يا ماما يقضيها بين أوراق القضايا فى البيت لدرجة أننى لا أجلس معه فيها إلا على الطعام .

ولم ير الحاج (ذكى) بدًّا من التدخل :

ـ يا حاجة المحاماة مهنة صعبة جدًا ، الله يكون فى عونه .

والتقطت (سوزى) دعاء الأب لترقق به قلب الأم :

ـ نعم يا ماما ، الله يكون فى عونه ، ثم ألست حضرتك تحبين له الخير ، وتريدينه أن يكون أحسن الناس ؟

وكان رد الأم بنفس فتورها :

ـ وهل هناك أم تكره الخير لأولادها ؟



ــ إذن ادعى له يا ماما !

وخرجت الدعوة على مضض :

ــ ربنا يصلح حاله .

وأسرع (عادل) يكسر الكآبة التى استحضرتها أمه :

ــ الحمد لله أنى لم أكن محاميًا .

وارتدت إلى (سوزى) ابتسامتها ، وأسرعت تجيبه مداعبة :

ــ لكن المحاماة هكذا خسرت محاميًا شقيًا .

ــ أحسن من أن تخسر المزز الحلوة دبورًا شقيًا .

ــ إذن خذ منى هذا يا دبور يا شقى .

وأخرجت من حقيبتها علبة موبايل ، ناولتها له ، فأسرع بفتحها وإخراج الموبايل منها ، لتنطلق هتفته الدهشة :

ــ 6600 .. باشا .. باشا .

ــ ما عليك إلا أن تضع شريحتك ، وترن على أول مزة تخطر ببالك الآن .

فما كان منه إلا أنه أسرع يرن عليهـــا هى ، فأسرعت تفتح موبايلها :

ــ آلـــــو .

ــ عصفور الجناين ؟

ــ من يريده ؟

ــ الدبور الشقى ؟

ــ ماذا تريد يا دبور يا شقى ؟

ــ أريد أن أقول لسيادتكم يدوم أول دور .

وضــــج الجميع بالضحك ، والتفتـــت (سوزى) إلى الحاجة (اعتدال) :

ــ وأنت يا ماما ، خذى هذه من ابنتك .

ومدت يدها لها بعلبة مجوهرات صغيرة ، فتناولتها الحاجة قائلة بفتورها ، ودون أن تفتحها :

ــ لماذا هذه الغرامة يا حبيبتى ؟

وأسرع (عادل) يخطف العلبة من يد أمه ، وفتحها ، فإذا بحلق جميل جعله يهتف بمنتهى الإعجاب والدهشة وهو يرفعه أمام عينيه :

ـ أوه يا أم (عادل) ! هذا الحلق سيعيدك عشرين سنة إلى الوراء .

والتفتت (سوزى) إلى الحــاج (ذكى) قائلة وهى تخرج مظروفًا أنيقًا من حقيبتها :

ـ أما أنت يا بابا ، يا أطيب بابا فى الدنيا ؛ فلأننى قرأت ذات مرة حكمـــة تقـــول إن أفضل هدية هى النقود ، ولأن حضرتك أفضل ما عندى فقد رأيت أن أطبق هذه الحكمة عليك .

وناولته المظروف ، ففتحه ، فإذا بعشر ورقات بنكنوت من فئة المائة جنيه ، وفوجئ العجوز الطيب ، وتسمرت عيناه على النقود لوهلة ، ثم رفعهما إلى (سوزى) يسألها بدهشته ونبرته الواهنة الهادئة :

ـ لمـــاذا يابنتى ؟

ـ قلت لحضرتك يا بابا لأنك أفضل ما عندى .

ـ ولكن هذا كثير يا حبيبتى .

ابتسمت مندهشة :

ـ كثير ؟!

ثم أردفت بمنتهى الحنو وهى تحتضن يديه المعروقتين بيديها :

ـ لا يا بابا ، لا شىء كثير عليكم ، على الناس الذين أهدونى زوجًا مخلصًا حنونًا يضعنى فى عينيه ، ويتقى الله فىَّ .

ووضعت نفسها فى حضن الرجل .

★ ★ ★

بشارع « الخليفة المأمون » ، وعلى بعد أمتار قليلة من ميدان روكسى ، غادر (هشام البكرى) شركته ذات الطوابق الخمسة قاصدًا سيارته المرسيدس ومن حوله أربعة من البودى جارد ، ورغم أن الساعة لم تكن قد جاوزت السابعة مساءً ، إلا أنه وجد السائق مستغرقًا فى نومه داخل السيارة ، وأسرع بودى جارد من الأربعـــة يوقظه ، فانتبــه قافزًا مـــن السيارة ، معتذرًا لـــ (هشام البكرى) بمنتهى الارتباك والخوف :

ـ آسف يا باشا .. آسف جدًا .

- لا عليك يا (شكرى) .. هات المفاتيح .

وركب (هشـــام البكرى) أمـــام الدريكسيون ، مردفًا للسائق الشاب بمنتهى الحنو :

- غدًا تأتى مبكرًا لأنى مسافر بورسعيد .

وأدار محرك السيارة وهو يقول لحراسه :

- تفضلوا أنتم ، سأنصرف بمفردى .

وتحرك بالســيارة الضخمة الكبيرة منحرفًا يمينًا فى شارع « إبراهيم اللقانى » ، أجمل شوارع القاهرة بفخامته وبمحلاته وحسناواته وتألقه ، إنه الشارع الذى لا يشيخ أبدًا ، أما بالنسبة لـــ (هشام البكرى) فهو ليس مجرد شارع ، إنه جزء حى نابض من كيانه ، ففيه كانت البداية قبل خمسة وثلاثين عامًا ، وقبل أن يبلغ (هشام البكرى) الثامنة عشرة من عمره ، هنا بدأ الصبى اليتيم (هشام البكرى) رحلة الأربعين عامًا بائعًا سريّحًا بملابس أطفال لصالح أحد أصحاب المحال ، ثم لصالح نفسه ، ثم صاحب فاترينة عباءات حريمى ، ثم شريكًا فى محل ملابس حريمى ، ثم صاحب محــل ، وثم ، وثم ، وثم ، وثم .. طريق طويل طويل لا يُقاس بالأمتار ولا بالأيام ، بل يُقاس بدماء الأظافر التى سالت

وهى تنحت فى صخور الكفاح الأشد قسوة من صخور الجبال .. شىء واحد فقط هو الذى كان يهوّن آلام نحته الدامى هذا .. شىء كان ولا يزال قادرًا على منحه عزم الأسود ، وفتح شهيته لأى جهد .. الحسناوات !! الحسناوات الجريئات المتحررات اللاتى تفتحت عيناه عليهن فى هذا الشارع مع تفتح براعم شبابه فصرن سكر حياته الذى لا يفقد حلاوته أبدًا مهما امتدت سنون العمر ، وها هو الدليل ماثل ، فرغم تجاوزه الثالثة والخمسين من عمره إلا أن هذا الشعور الجميل ، شعوره بالابتهاج برؤيتهن والتعامل معهن وتلطفهن معه ما زال بداخله مشبوبًا عفيًا رائعًا يحفظ له عنفوان وحيوية ونكهة الشباب ، ويدفع عنه أنياب ومخالب الشيخوخة المتربصة بوجهها القبيح ، ومن هنا ازدحمت حياته بالحسناوات ، ولكن دون أن يتزوج حتى هذه السن ، فكان طبيعيًا أن يتناثر السؤال من حوله فى دهشة عن عدم زواجه ، وأن يواجهه به أصدقاؤه المقربون ، فيكون جوابه لهم ببساطته المحبوبة « إنها القسمة والنصيب » ، ولكن جوابه هذا لم يكن سوى ستار كثيف للسبب الحقيقى الكامن فى أعماقه ، ويا له من سبب عجيب يحمل فلسفة أشد عجبًا ، وهو أنه يبحث عن امرأة مستحيلة المنال ، لأن قهره للمستحيل بصعوده من قاع الفقر إلى قمة الثراء ، وما منحه له هـــذا من

سعادة جمة لا تزول ، جعله يعشق كل ما هو مستحيل ، وأرسى فى أعماقه يقينًا مطلقًا بأن المرأة المستحيلة أيضًا سوف تمنحه سعادة بلا حدود وبلا زوال ، وأما كون هذه المرأة تأخرت حتى الآن فهــذا لا يقلقه بالمــرة ؛ لأنه واثق كل الثقة أنها آتية لا محال ، وإلى أن تأتى ها هو يعيش حياته راضيًا بين عمل دءوب وتحليق ممتع فى بساتين الحسناوات .

★ ★ ★

ومن حُسن حظ (هشام البكرى) فى هذه الليلة الربيعية أن حركة المرور فى شارع « إبراهيم اللقانى » كانت شديدة البطء لدرجة أنه قطع بضعة أمتار من الشارع فيما يزيد على العشرين دقيقة ، ومع ذلك لم يبد عليه أى قدر من الضيق ، بل على النقيض بدا من لمعة عينيه وطيف ابتسامته ــ وهو يستعرض واجهات المحلات الساطعة بسيول الأنوار البيضاء ، وما أمامها من مارة وباعة أرصفة ــ أنه غارق فى متعة متناهية ، متعة ذكريات الصبا على هذا الرصيف .. وقفته ببضاعته عليه لأكثر من أربع عشرة ساعة يوميًا .. مطاردات شرطة البلدية .. فصال زبوناته الجميلات الرقيقات وتلطفهن معه كى يخفّض لهن أسعاره ..

الفتاة الجميلة التى كانت تأتيه يوميًا بوجبة غداء بيتى وزجاجة مياه مثلجة من منزل أسرتها فى « سراى القبة » لمجرد أنه عاملها بأدب وهى تشترى منه عباءة .. أين هذه الرحمة والرقة الآن ؟ عبرت نفسه سحابة أسف لخاطرته ، لكن فجأة ومضت عيناه أشد مما كانت ، وخفق قلبه خفوق المراهقين وعيناه تتسمران على هذه المهرة الفاتنة الواقفة بجانب الطريق محاولة استيقاف تاكسى .. إنها (سوزى) ببنطلون جينز وبدى جعلاها مهرة تدير العقل .. بمنتهى الفرحة والدهشة أسرع يلف الدريكسيون يمينًا ، ليتوقف أمامها هاتفًا من داخل السيارة :

ــ ألهذا « روكسى » فى منتهى الروعة الليلة ؟!

فوجئت (سوزى) ، وأسرعت ترد بابتسامة دهشة :

ــ (هشام) باشا !

ــ إلى أين ؟

ــ الشيخ « زايد » .

مد يده بسرعة فاتحًا الباب الذى بناحيتها :

ــ تفضلى !



فوجئت مرة أخرى ..

ــ لــكن ....

وارتفعت الكلاكسات من الخلف فى إلحاح وتبرم ، فعاد يهتف بها :

ــ اركبى ، نحن معطلون الطريق .

لم تملك إلا أن تركب ، وأسرع يتحرك بالسيارة وهو يسألها مندهشًا :

ــ ماذا ؟! هل نسيت أننى أيضًا من سكان « زايد » ؟!

ــ لم أنس ، ولكن ...

ــ لكن ماذا ؟ بك أو بدونك كنت عائدًا إلى هناك .

ونظر إلى حقيبتى المشتروات اللتين فى يدها متسائلاً :

ــ جئت من الشيخ « زايد » إلى هنا كى تتسوقى ؟!

ــ لا ، لم آت خصيصًا ، كنت فى زيارة أسرة (عماد) فى المطرية ، فخطر لى أن أمرّ على « روكسى » بالمرة .

ــ « وروكسى » نوّرت مليون مرة .

ــ مرسيه يا باشا .

اجتاز تقاطع شارع « الأهرام » ، ثم عاد يسألها بطريقته الراقية :

ــ ما أخبار الأستاذ (عماد) ؟

ــ بخير الحمد لله .

ــ شاب جميل ، أخلاقه عالية .

ــ مرسيه يا باشا .

وانحرف يســارًا فى شــارع « الكربة » ، فإذا بالطريق شبه متوقف من جراء جمهرة شديدة من الأهالى ورجال البوليس أمام محل مجوهرات ، مما دفع بـ (سوزى) إلى التساؤل فى انزعاج :

ــ ماذا هناك ؟!

وأسرع (هشام) يطرح السؤال على شاب من الواقفين بجوار السيارة ، فكان جوابه :

ــ مهندس شاب سطا على المحل من أسبوعين وقتل صاحبه ، قبضوا عليه ، وهو الآن يعيد تمثيل جريمته .

تذكر (هشام) هذه الجريمة التى كان قد عرف بها فى يومها ، ووجد نفسه يردد فى أسى :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .

وراح يتحرك بالسيارة بقدر ما يسمح زحام الشارع ، بينما (سوزى) تتساءل فى ذهول :

ـ مهندس ؟!

وكان رد (هشام) بمرارته :

ـ الشيطان لا يفرّق بين مهندس وزبال .

ـ الزبال قد نجد له عذرًا فى جهله .

ـ ولماذا لا يكون المهندس هو الجاهل ؟ الجهل ليس الجهل بعلوم المدارس والجامعات يا مدام (سوزى) .. الجهل فى عمى البصيرة ، فلو كان المقبل على جريمة كهذه عنده بصيرة لرأى عاقبة جريمته ، وما ارتكبها ولو مات جوعًا .

فى هذه اللحظات كانا يمران بكوفى شوب « شيلسى » بشارع الثورة ، وكالعادة كل ليلة كانت تتصدر واجهة المحل الشهير جمهرة تفوق سابقتها ، ولكنها من نوع آخر تمامًا .. جمهرة شباب وفتيـات « مصر الجديدة » بكـل روشنتهم وبهائهم حول سياراتهم الأحـدث موديل وقـد ذابوا معًا فى سـعادة أضاءت

وجوههم المتوردة من نعيم معيشتهم ، بينما راح ماسح أحذية شاب عشرينى العمر تكاد رمادية وجهه الخالى من اللحم تقارب رمادية البنطلون الجينز والقميص الكالحين اللذين يرتديهما راح يجوس بينهم فى صعوبة بجسده النحيل الضامر ، محاولاً التقاط زبون منهم دون جدوى .. وسامة الشاب التى لم يخفها بؤسه وشقاؤه ، مع تألمه من ثقل صندوق الورنيش المعلق فى كتفه ، مع الابتسامة الحزينة الكسيرة التى يحاول بها ترويج خدمته لأبناء الثراء المتخمين بالعز والنعيم ، كلها مجتمعة وخزت قلب (سوزى) بمجرد أن وقعت عيناها عليه ، وجعلت هتفتها تنفلت منها بانفعال :

ـ (هشام) باشا .. ممكن لحظة هنا ؟

وفوجئ (هشام) :

ـ أتوقف ؟!

ـ نعم من فضلك .

ـ تحت أمرك .



وأسرع بالارتكـــان على جانب الطـــريق ، فإذا بهـــا تقفز من السيارة بكيس نقودها فى يدها ، وتنطلق جريًا صـــوب الشباب والفتيات ، وتجوس بينهم حتى أمسكت بذراعٍ ماسح الأحذية الشاب من الخلف ، فأسرع يلتفت خلفه متلهفًا ظنًا منه بأنها يد زبون ، وما كاد يفعل حتى كانت ابتسامته الحلوة تضىء وجهه ، بينما سارعت (سوزى) بالخروج به مـــن الزحام لتنتحى به جانبًا متبادلة معـــه حديثًا باسمًا ، ثم إذا بها تمسك بيده داسة فيها خمسين جنيهًا ، فإذا بابتسامة الشاب تختفى ، ويسارع برد يدها بالمبلغ بمنتهى الكبرياء وعزة النفس ، ولكن (سوزى) لم تتركه حتى أخذه منها راضيًا ، وحتى عادت إليه ابتسامته الحلوة ، وإذا بها تطبع قبلة حميمة على خـــده ، ثم تسرع بالعودة إلى السيارة جريًا تاركته يعانقها بعينيه بمنتهى الإجلال والامتنان ، بينما عينا (هشام) عليها من بدء المشهد وحتى قفزها إلى جواره فى السيارة معتذرة فى سعادة وهى تلهث من الجرى :

ـــ أنا آسفة جدًا يا (هشام) باشا .

ومن فرط دهشة الرجل مما رآه لم يستطع لها ردًا ، وظلت عيناه تحلقان على وجهها فى دهشة أقرب إلى الذهول ، حتى تحرك بالسيارة وبداخله علامة استفهام ضخمة منعـــه أدبه من البوح بها ،

ولكن السيدة الشابة كانت أرق من أن تتركه لتساوله .. شرعت فى تفسير الأمر له بمنتهى الرقة :

ـــ فى مثل هذه الأيام من السنة الماضية كنت فى مركز الحياة الطبى القريب من هنا ، أحاول معرفة سبب تأخرى فى الإنجاب ، وخرجت من المركز فى التاسعة ليلاً تقريبًا ، ومؤكد حضرتك تعرف أن الشارع الذى به المركز شديد الهدوء ، وتكاد تنعدم فيه الحركة ليلاً ، ولكنى ليلتها لم أنتبه إلى ذلك لانشغالى بأمرٍ ما صارحنى به الطبيب ، حتى فوجئت بنفسى بين أربعة ذئاب بشرية ، راحوا يتحرشون بى بمنتهى السفالة ، وانتفضت أدافع عن نفسى وأنا فى داخلى أموت فزعًا ، وإذا بالأرض تنشق عن شاب ممسك بحزام بنطلونه ، ومسرع بالإطاحة فيهم ضربًا وهو يصرخ فيهم بالابتعاد عنى ، وبالطبع كانوا سيغلبونه ، ومع ذلك لم يتراجع ، ولم يبال بضربهم فيه ، وبدا واضحًا أن كل همه هو اشغالهم عنى كى أنفد بجلدى ، وبالفعل انتهزت الفرصة وانطلقت جريًا ، ولكن إلى موظفى أمن المركز الطبى الذين جاءوا معى جريًا وقبضوا على الكلاب الأربعة ، ولكن بعد أن كانوا قد طحنوا الشاب النحيل ضربًا ، وحطموا له صندوق الورنيش الذى يأكل منه عيشه .

وسكتت (سوزى) لوهلة كى تمسح دموعها التى غلبتها ، ثم عادت تختم روايتها قائلة :

ــ وهل تعلم ماذا اكتشفت فى ماسح الأحذية الشاب النحيل هذا يا (هشام) باشا ؟ اكتشفت أنه يعول أمه المريضة وإخوته الأربعة الذين يصغرونه بعد وفاة أبيه ، وأنه ... طالب متفوق فى كلية الإعلام !

وعادت تمسح دموعها ، بينما عينا (هشام) متسمرتان عليها فى بهوت عظيم مكتوم حتى كاد ينسى أنه منطلق بالسيارة ..

★ ★ ★

الفصل الخامس

لم ينتبه (عماد) من استغراقه العميق فى قراءة كوم الأوراق الذى أمامه فوق المكتب إلا على هتفة (سوزى) بمنتهى اللهفة وهى واقفة بباب الغرفة :

ــ حبيبى .

واندفعت نحوه بكل لهفتها ليتلقاها هو فى حضنه :

ــ حمدًا لله على السلامة يا قمر .

ــ الله يسلمك يا حبيب قلبى .. وحشتنى وحشتنى موت .

وجلست فى حضنه ، محلقة بعينيها المبتهجتين على وجهه :

ــ ها .. ما الأخبار ؟

ــ خبر واحد ولكنه بمليون خبر .

ــ إلىّ به .

ــ عيّننى (هشام البكرى) مستشارًا قانونيًا خاصًا له ومستقلاً عن الشئون القانونية لشركاته بثلاثة آلاف جنيه شهريًا .

انفجرت فرحـــة (سوزى) ودهشتها فى آنٍ واحـــد ، وانفلت تساؤلها :

ـ ما هذا ؟!

ودُهش (عماد) لدهشتها :

ـ ما الحكاية يا حبيبتى ؟!

ـ الحكاية أن (هشام البكرى) كان معى حتى باب العمارة ولم يخبرنى بهذا .

انتفض من المفاجأة .

ـ ماذا ؟! (هشام البكرى) بنفسه ؟!

ـ بدمه ولحمه .

ـ كيف ؟!

ـ قابلنى فى « روكسى » ، وأوصلنى إلى هنا .

ـ ولماذا لم تدعيه إلى الصعود ؟!

ـ ليس هذا هو المهم .. المهم هو لماذا لم يخبرنى ؟!

ـ ربما لم يجد فرصة لذلك .

ـ ساعة ونصف معه فى السيارة ولم يجد الفرصة ؟!

ـ شىء عجيب حقًا !

وإذا بدهشة (سوزى) كلها تنقلب إكبارًا خالصًا ، وتشرد بعينيها قائلة :

ـ بل شىء نبيل جدًا ، فهو لم يشأ أن يفســد عليك حـلاوة المفاجأة التى تحملها لى ، وأراد أن تسعدنى أنت بها .

وسكتت لوهلة متوغلة فى شرودها الباسم ، ثم عادت تردف بمنتهى الإكبار :

ـ يا له من رجل عظيم !

وابتسم (عمـــاد) وهو يلفت وجهها نحوه بيده فى رقة ، ونظر فى عينيها قائلاً :

ـ يكفيه هذه الشهادة من البرنسيسة ليكون عظيمًا فعلاً .

وابتسمت (سوزى) بمنتهى الحب والحنان :

ـ مليون مليون مبروك يا حبيب البرنسيسة .

وطبعــت قبلتين على خديه ، ثم التفتت إلى الورق الــذى يملأ سطح المكتب :

ــ أنت مشغول ؟

ــ مجموعة ملفات خاصة جدًا أعطاها لى كى أدرسها .

ابتسمت مداعبته وعيناها على الملفات :

ــ كل هذا ؟! بداية ساخنة !

وكان رده بشىء من الدهشة وعيناه متوقفتان على الملفات :

ــ ويا لها من سخونة !

وأمسك بملف منها قائلاً بشىء من الشرود وكأنه يحدث نفسه :

ــ الملف الواحد من هذه الملفات يساوى ملايين الجنيهات .

صدحت ضحكتها الكروانية :

ــ إذن فى المرة القادمة اطلب منه أن يعطيها لك نقدًا .

ابتسم لبراءتها :

ــ ليس منه هو .

ــ ممن إذن ؟!

ــ ممن يهمهم الحصول على هذه الملفات بأى ثمن .

تسمرت الابتسامة على شفتيها :

ــ ومن يكونون هؤلاء ؟!

ــ خصومه ومنافسوه فى السوق ، وفى الحزب ، وفى مجلس الشعب ، وفى مجالات أخرى .

انطلقت هتفتها فى دهشة وانزعاج :

ــ يا ساتر ! وهل له خصوم بهذه الكثرة ؟!

ــ القاعدة الأزلية يا برنسيسة .. كلما زاد نجاحك زاد خصومك .

ــ ولمــاذا الخصومة ؟!

ــ شريعة لعبة من ألعاب الحياة ، ناجحون وخصوم ومستفيدون من صراع الطرفين .

ــ مستفيدون من الشر ؟!

ــ هم لم يصنعوا هذا الشر ولا ذنب لهم فيه ، وبهم أو بدونهم الشر موجود ، وكل ما فى الأمــر أن لهم دورًا فى هذه اللعبة وسيمارسونه طوعًا أو كرهًا .

صفعها اللفظ .

ــ كرهًا ؟!

وكان رده بمنتهى الهدوء :



ــ نعم كرهًا .

ونهض واقفًا من المقعد ، وأجلسها مكانه ، ثم خرج من خلف المكتب وهو يشعل سيجارة ، أخذ منها نفسًا طويلاً ، ثم جلس أمامها ، ونظر إليها مردفًا بهدوئه :

ــ ألم تتسبب صحبتكِ اليوم لــ (هشام البكرى) لأكثر من ساعة ونصف فى إسعاده ؟ إذن فقد اكتسب قوة نفسية إضافية بفضل سعادته هذه ، وهذه القوة سوف يستخدمها تلقائيًا فى كل نواحى الحياة بما فيها مواجهته لخصومه .. أى إن سيادتك شاركت فى هذا الصراع البعيد عنك والذى لا تدرين عنه شيئًا بتقوية أحد طرفيــه دون قصد ، وهو ما يسمى بنظرية « التروس الثانوية الصغيرة » ، فهى رغم صغرها وترتيبها البعيد عن التروس الأم إلا أنها لها دورها فى تشغيل الآلة ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، أو إعفاؤها من هذا الدور بأى حال من الأحوال .

وسكت المحامى الشاب متطلعًا إلى رد فعل زوجته من وراء سحابة دخان سيجارته ، فإذا بعينيها متسمرتين عليه بنظرة أشبه بنظرة الفزع .. وقد كانت فعلاً نظرة فزع ، فقد بدت نظريته لزوجته الشابة كثعبان فظيع ظهر فجأة أمام عينيها منتصبًا فاغرًا فاه .

* * *

تحت سور حديقة « الميرلاند » المطل على شارع « الحجاز » جلس (يحيى) خلف صندوق الورنيش يلاحق الرجال والشباب المارين أمامه بعينيه وهو يلاغيهم بدق الصندوق بفرشاة التلميع بحثًا بينهم عن زبون .. وهو لا يجلس هكذا إلا عندما يهده التعب من كثرة التجوال بصندوقه فى الشوارع .. واليوم لم يترك مقهى ولا مطعمًا ولا متجرًا ولا مولاً بــ « روكسى » إلا وسعى فيه .. والحصيلة ثلاثة عشر جنيهًا ونصــف ، بينما حقنــة المضاد الحيوى فقط التى تأخذهــا أمه يوميًا بثمانية وعشرين جنيهًا ، وأخته (ريهام) تنتظر منه الثلاثين جنيهًا لشراء كتاب الفيزياء الخارجى المتعطلة عــن مذاكرة المادة بدونه ، بالإضافة إلى مصروفها ومصروفات بقية إخوته الصباحية غدًا وهم ذاهبون إلى مدارسهم ، ومصروفه هو أيضًا غدًا فى مشوار الجامعة ، وعشائهم الليلة و ....

ولم يملك إلا أن يرفع وجهه إلى السماء هامسًا من أعماق قلبه :

ــ يا رب !

وهمّ بأن ينزل عينيه فإذا بشابين مهيبين أنيقين يقفان أمامه ، لتنساب همسته الأخرى على الفور :

— الحمد لله .

وأسرع يقول لأحد الشابين وهو يشير بالفرشاة التى فى يده إلى موضع القدم فوق الصندوق :

— هات قدمك هنا يا باشا !

— بل هات يدك أنت !

وفوجئ (يحيى) برد الشاب وبيده الممدودة ، وتعلقت عيناه بعينيه فى دهشة :

— يـدى ؟!

وجاءه الجواب من الشاب الآخر :

— نعم .. تفضل معنا .

اشتدت دهشة (يحيى) ، وعاد ينظر إلى الشاب الأول متسائلاً :

— إلى أين ؟!

— ستعرف حالاً .. تفضل !

ولم يعطياه فرصة لسؤال آخر ، ومضيا به وبصندوقه إلى الجيب المرسيدس الواقفة خلفهم إلى جوار الرصيف ، وانطلقا به .. دقائق معدودة ووجد نفسه يدخل مكتبًا يفوق مكاتب رجال الأعمال التى

يشاهدها فى أفـلام السينما ضخامة وفخامة .. وأسرع (هشام البكرى) بصرف الشابين العملاقين بإشارة وقورة من يده وهو يجلس خلف مكتبه ممسكًا بسيجارته الـ « L.M » ، ثم التفت إلى (يحيى) مشيرًا له بالجلوس فى تبسم حنون :

— تفضل !

وجلس (يحيى) وعينـاه معلقتان بـ (هشـام) فى تهيُّب وتساؤل هادر طافح على وجهـه .. جديته التى تضـاعف من سنه ، وسُحب الهم التى تطفئ زهوة الشباب فى وجهـه جعلت (هشام) يشفق عليه ، ويحاول إخراجه مما هو فيه .. ابتسم مداعبه :

— هل خضك هذان الفيلان ؟

وجاءه الجواب جادًّا ، ولكن فى أدب :

— الرجال لا تُخَضُّ يا باشا .

— برافـو .

ومد (هشام) يده له بعلبة سجائره :

— تفضل !

— شكرًا يا باشا ، لا أدخن .

أعاد (هشام) علبة السجائر إلى مكانها ، والتفت إلى ترمس شاى إلى يساره ، وأخذ يصب منه كوبين وهو يقول :

— لا أحد من السعاة أو الموظفين موجود معنا فى الشركة ، فالساعة تقترب من منتصف الليل .

ووضع كوب شاى أمام (يحيى) ، وهو يستطرد قائلاً :

— والحقيقة أننى تعمدت ذلك حتى لا يراك أحد منهم لسبب ستدركه أنت من نفسك مستقبلاً ، وحتى هذان الفيلان اللذان أتيا بك ليسا من الشركة ، ولن يشاهداك مرة أخرى .. تفضل الشاى .

ولكن (يحيى) لم يمد يده إلى الشـــاى ، ولم ينزل عينيه عن عينى (هشام) فى إعلان واضح عن اختناقه ونفاد صبره ، مما دفع (هشام) لأن يبتسم مستطردًا :

— سأريحك .. أنا كنت مع مدام (سوزان) وهى تسلم عليك أمام « تشيلسى » يوم الثلاثاء الماضى ، ويومهـــا حكت لى ما فعلته معها ، ومن ساعتها وأنا مشتاق إلى التعرف إليك ، وطبعًا لم يكن الأمر محتاجًا إلى هذه الطريقة البوليسية الرذلة قابلتك ، لكننى للأسف اضطررت لها بعد أن بحثت عنك بنفسى

لثلاثة أيام متواصلة دون جدوى ، ومع ذلك أنا أعتذر لك عنها ، فهل تقبل اعتذارى وتسعدنى بالتعرف إليك ؟

ولم تبرح عينا (يحيى) عينى (هشام) ، ولم ترتخ أعصابه المشدودة مثل أسياخ الحديد وهو يسأله :

— وهـــل سيادتك بحثـــت عنى بنفسك ثلاثة أيام متواصلة ؟ وأجهدت نفسك فى إحضارى إلى هنا بهذه الطريقة ؟ وتعتذر لى الآن ؟ وتريد التعرف إلىَّ ؟ كل ذلك بسبب ما فعلته مع مدام (سوزان) ؟! وبعد أن مر عليه أكثر من سنة ؟!

انفلتت من (هشام) ابتسامة تعجب ، ثم كان جوابه :

— إذن فأنت لا تدرك قيمة ما فعلت .

وسكت هنيهة وعينـــاه على بقيـــة سيجارته وهو يطفئها فى مطفأة السجائر التى أمامه ، ثم عاد ينظر إلى (يحيى) مستطردًا :

— ببساطة شديدة كان يمكن أن تُقتل فى هذا الموقف ، وتتحول إلى مأساة إنسانية توجع قلب « مصر » كلها من « الإسكندرية » إلى « أسوان » ، وقد حدث هذا كثيرًا ، فهل هناك صنيع أعظم من هذا ؟! وأما حكاية أننى أكلمك فيه بعد أكثر من سنة من حدوثه فالسبب كما أخبرتك هو أننى لم أعلم به إلا الأسبوع الماضى ،

ووالله والله العظيم يابنى لو كـــان لى ابنـــة أو زوجة وفعلت معها ما فعلت لوضعتك فى عينى مدى الحياة ، وما وفيتك حقك .

وسكت الرجل متطلعًا إلى (يحيى) بمنتهى التأثر والإكبار ، وبدا عليه واضحًا أنه يتمنى لو ضم الفتى فى حضنه حبًّا وامتنانًا ، وتلقى (يحيى) إحساس الرجل ، وصدَّقه ، فزال على الفور توتره الذى كان يشد أعصابه ، وتفشى فيه احساس جارف بالارتياح للرجل جعله يقول له بعفوية صادقة :

ـ أنت إنسان جميل يا باشا .

ـ أنت الأجمل يا (يحيى) .

ـ حضرتك تعرف اسمى ؟!

ـ اسمك وظروفك ونبوغك فى الجامعة .

وابتسم مردفًا فى طيبةَ :

ـ ممكن تشرب الشاى الآن ؟

وأسرع (يحيى) برفع كوب الشاى مجيبًا فىَ تبسم :

ـ طبعًا يا باشا ممكن .

وانتظره (هشام) حتى ارتشف منه ، ثم عاد يسأله بابتسامته الودودة :

ـ ما حكاية صندوق الورنيش هذا ؟!

ـ ورثته مع الصنعة عن أبىَ .

دُهش (هشام) :

ـ ما حكاية التوريث هذه ؟!

ـ فيلم العصر يا باشا .

أشعل (هشام) سيجارة أخرى ، أخذ منها نفسًا طويلاً ورشفة من شايه ، ثم راح يتأمل (يحيى) مليًا لوهلة ، عاد بعدها يسأله :

ـ ألم تفكر فى عمل آخر ؟

ـ العمل الآخر يحتاج إلى وقت طويل للعثور عليه ، وأنا فى رقبتى كوم لحم لا يتحمل يومًا واحدًا بدون مصاريف .

طفح الأسى على وجه (هشام) ، ولكنه أسرع يتخلص منه ، ويسأل الفتى فى بشاشة :

ـ ولكن مؤكد بداخلك عمل تتمناه .

ـ مقدم برامج تليفزيونية .



قالها (يحيى) بسرعة وبحماس عجيب أثار دهشة (هشام) ، وجعله يسأله بدهشته :

ــ ألهذا تدرس الإعــلام ؟

ــ نعم .. وبإذن الله .. بإذن الله سيحدث .. إننى الآن فى البكالوريوس ، أى على وشك التخرج ، وعلاقاتى بأساتذتى طيبة ، وجميعهم من كبار الإعلاميين ، وأنا واثق أن ربنا سيكرمنى على أيديهم .

إحساس جميل تجاه الفتى فاح فى وجدان (هشام) ، وجعل عينيه تلمعان وهو يتأمله مبهورًا بطموحه وتخطيطه وتفاؤله رغم ظروفه التى لا تبشر بأى خيــر .. مــال على المكتب بمرفقيه ، مقتربًا بوجهه من الفتى ، قائلاً له بصوت خفيض حنون وكأنه يهمس له :

ــ أتعلم ما هو أجمل ما فيك يا فتى ؟ عشمك فى الله ، ففى عبارة واحدة ذكرت الله ثلاث مرات .

ــ لأن الله يحب هذا يا باشا ، وقالها واضحة : « أنا عند ظن عبدى بى » .

ــ ونعم بالله .

وعاد (هشام) بظهره إلى ظهر المقعد العالى ، وأخذ نفسًا طويلاً من سيجارته دون أن يرفع عينيه عن (يحيى) ، ثم عاد يسأله :

ــ ما رأيك فى أن نختصر الوقت ؟

ــ فيــم ؟

ــ فى أن تبدأ العمل كمقدم برامج من الآن .

فوجئ (يحيى) بشدة .

ــ مــاذا ؟!

ــ ليس فى الأمر ما يدعو إلى الدهشة إلى هذا الحد ، فكثير من برامج القنوات الفضــائية يقدمها شباب ما زالوا فى دراستهم الجامعية ، فلماذا لا تكون واحدًا منهم ؟

ــ لأننى كما أخبرت سيادتك وكما ترى ظروفى غير ظروفهم .

ــ الظروف المالية فقط هى العقبة ؟

ــ نعــم .

ثم انتبــه إلى مغــزى سؤال (هشام) ، فأسرع يردف قائلاً بحماسه المبهر :

ــ الشهر الماضى عملت مع مجموعة من زملائى فى الدفعة تجربة بسيطة لبرنامج تليفزيونى ، وعرضناه على أساتذتنا فى الكلية ، وفوجئنا بهم جميعًا يشيدون بى كمقدم للبرنامج ، لدرجة أن أحدهم قال لى بالحرف الواحد : « أنت مفاجأة » .

ــ وماذا كان موضوع البرنامج ؟

ــ أعظم قيمة إنسانية ترفع صاحبها ولو كان معدمًا لا يملك قوت يومه .

ــ وماذا تكون هذه ؟!

ــ الوفاء يا باشا .

فاح الإكبار فى قلب (هشام) وفى عينيه :

ــ برافو .. حقيقى برافو .

وأسرع يشعل سيجارة أخرى ، ثم عاد يقول له بمنتهى الحماس :

ــ إذن فلنبدأ يا أبو (يحيى) .

ــ نبدأ ماذا يا باشا ؟!

ــ نبدأ المشوار من الآن .. من هذه اللحظة ؟!

ــ كيـف ؟!

ــ سأخبرك كيف يا فتى :

أولاً : غدًا سأتحدث إلى صاحب قناة فضائية ، وهو صديق حميم لى ، وسيقوم معك باللازم .

ثانيا : غدًا أيضًا سأصدر قرارًا بتعيينك موظفًا غير متفرغ فى قسم الدعاية والإعلان لمجموعة شركاتى ، وستكون كل مهمتك هى المساهمة مع مجموعة من زملائك فى صياغة إعلانات الشركة وابتكار وسائل دعاية جديدة ، وذلك براتب شهرى ألفى جنيه .

ثالثًا : قالها وهو يخرج من درج مكتبه رزمة من فئة المئة جنيه ، ويضعها أمام الفتى ، مردفًا :

ــ هذه عشرة آلاف جنيه ، منحة لا تُرد ، نصفها لك تهيئ به نفسك لعملك الجديد ، ونصــفها الآخــر للأسرة حتى تقبض أول راتــب .

و ......

و ......

و......

وتوقفت الكلمات ..

وأطبق الصمت والسكون ..

ولكن شيئًا عفيًا قفز وصرخ على وجه (يحيى) ، وفي عينيه ... الذهــول !!

تسمرت عينا الفتى على وجه (هشام) وهو يحاول أن يحرك لسانه ، ولكنه لم يستطع ، وكان على الرجل الطيب أن ينقذه من بطش ذهوله ، فكان تبسمه الجميل وهو يقول له بكل حنان :

ـ لا تتعجب إنها إرادة الله .

وترقرقت الدموع فى عينى (يحيى) ، فقد قفزت أمام عينيه صورته وهو يجلس تحت سور حديقة « الميرلاند » من ساعة واحدة فقط ، يكاد يبكى لعجزه عن تدبير ثمن حقنة أمه وعشاء أخوته ، حتى إنه لم يجد أمامه سـوى نـداء الله ، فإذا بالجواب يأتيه فى أقل من ساعة ، وبهذا الكرم الذى لا يستوعبه عقل ..

يا الله !! هل أنت قريب وجميل إلى هذا الحد ؟!!

★ ★ ★

الفصل السادس

ثمانية وأربعون عامًا هى السن التى بلغتها (فاطمة) الشهر الماضى ، قضت منها سبعة أعوام رقادًا فى الفراش .. من يراها لا يظنها أبدًا مريضة ، ففى وجهها وقوامها جمال راق يرشحها لأن تكون إحدى برنسيسات الزمــن الجميل ، وبنظرة أكثر قربًا تكاد تكــون صــورة طبق الأصل من برنسيسة السينما العربية (ميرفت أمين) ، حتى فى هذه الابتسامة الساحرة الراقية التى لا تفــارق شفتيها .. ولكن كيف نجا هذا الجمال وهذه الابتسامة من سيل نكبات لو حط على جبلٍ عتيد لخر متصدعًا ؟ فقد مات أبوها تاجر إكسسوار السيارات وهى ما زالت فى شهر العسل لم تبلغ عامها الثالث والعشرين ، وبعد أقل من سبعة شهور لحقت به أمها ، تاركانها أمانة فى رقبة زوجها والذى هو ابن خالتها فى الوقت ذاته ، فإذا بالزوج ابن الخالة يجردها من كل أملاكها بما فيها الفيلا التى يعيشان فيهــا ـ بالتوكيل الــذى منحتــه له باعتباره راعيها الحبيب الوحيد الذى لم يعد لها ســواه فى هذا العالم ، والأأمن عليهــا من نفسها ـ ليتزوج من ممثلة مغمورة ، تاركًا أمانته فى الشارع بالثياب التى على جسدها ، وورقة الطلاق التى فى يدها ، وقبل أن يمر عام واحد على رحيل أبويها .. وتسارع

صديقة عمرها (عفاف) باحتوائها ، تُفسح لها مكانًا يليق بها فى شقتها لتقيم معها هى وزوجها ضابط الشرطة الشاب ، وطفلتهما الجميلة (ندى) ابنة الثلاث سنوات ، وتلحقها كمدرسة لغة إنجليزية للصفوف الابتدائية بنفس المدرسة الخاصة التى تعمل بها أخصائية اجتماعية ، وتغمرها بكل ما لديها من حب وحنان وبهجة فى جهاد رائع لغسلها من أحزانها ، وتنجح الصديقة الرائعة ، وتبـدأ (فاطمة) فى استعادة توازنهــا ، وإحساسها الجميل بالحياة ، وزهوة جمالها المُشبع بالعذوبة ، وروحها المرحة التى تجعلها عصفورًا مغردًا ... ولكن متى غردت العصافير ظهرت الخفافيش ... فوجئت (فاطمة) بزوج صديقتها الحبيبة يكشف عن حقارته .. عن طمعه فيها .. وانتبهت له على الفور بادئة حرب التصدى ، فلم يزده الصد إلا هياجًا حيوانيًّا .. أيامًا وليالى هى تصد وهو يزداد سعارًا ، وقـد أغراه أكثر أن الفريسة لم تحاول أن تخبر أو تستغيث بصديقتها .. فسر هذا بأنها هى أيضًا تريده ، وما تمنُعها عليه إلا تمنُّع الراغبات .. غباؤه أعجزه عن إدراك التفسير النبيل .. انها لا تريد أن تهدم بيت صديقتها أو على الأقل تصدمها فى زوجها وتتسبب فى تعاستها ولو للحظة واحدة .. ليس هذا من العدل أبدًا بعد كل ما فعلته لأجلها ، وليس هذا من الوفاء .. الوفاء أن ترحل هى فى صمت .. هكذا اتخذت

قرارها وهى راقدة فى فراشها تجرى دموعها على خديها فى حزن يصبغ القلب ، لم ينتشلها منه سوى ارتفاع أذان الفجر .. أسرعت تمسح دموعها مستغفرة ربها وهى تنهض لتتوضأ ، وفى سجودها بين يدى خالقهــا ، وجدت نفسها تردد وعده الجميل بالدموع « وبشر الصابرين » ، فإذا بأحزانها ومخاوفها تخمد تمامًا ، وإذا بها تعود إلى فراشها ، وتنام قريرة العين .. وقبل أذان الظهر كانت تنتهز فرصة انشغال (عفاف) بعملها فى المدرسة ، وأسرعت بالعودة إلى الشقة دون أن تخبرها .. وفى غرفتها راحت تلملم حاجياتها البسيطة الخاصة ودموعها تملأ عينيها .. دموع الحزن على فراق الصديقة الأكثر من أخت ، والطفلة التى أحبتها أكثر من ابنة .. وهمت بأن تغادر الشقة ، فإذا بالخفاش اللعين منتصبًا أمامها بسعاره الحيوانى .. أخيرًا جاءته فرصة الانفراد التام بفريسته .. وبسعاره اللعين انقض عليها ، لينفجر عــراك ضــارٍ بين الاثنين ، وحينمــا أيقنت المسكينة أنها ضائعة أطلقت صراخها مدويًا ، لتنهمر طرقات الجيران على باب الشقة ، حتى فتحه سيادة النقيب وهو ممسك بالفريسة من شعرها ، صارخًا فيهم وهو يشير إلى مجوهرات زوجته المبعثرة على الأرض :

ــ بنت الكلب ضبطتها تسرق مصوغات زوجتى التى آوتها من الشارع !!

وفى لحظات كان بوكس الشرطة يشحن المسكينة إلى قسم « حدائق القبة » ومعها نصف دستة من الجيران شهودًا عليها ، ولينتهى الأمر بالحكم عليها بالسجن لمدة عام .. وينقضى العام .. وتغادر (فاطمة) محبسها ، لتجد نفسها ضائعة فى الشوارع حتى تذكرت (مبروكة) ، زميلتها فى السجن فى قضية شيك بدون رصيد اشترت به جهاز ابنتها الوحيدة بالتقسيط .. قلبت عليها « منشية ناصر » حتى عثرت عليها ، وكم كانت فرحة (مبروكة) بها ، ودون تردد دعتها إلى مشاركتها غرفتها التى تشبه مغارات الجبال ، وكان مصدر دخل (مبروكة) هو دكان صغير بجــوار البيت تبيــع فيــه الخبــز ، فأصرت (فاطمة) أن تقف معهــا فى الدكــان حتى لا تكــون عالة عليهــا .. ومن وقفتها فى الدكان تعرفت على (إسلام) ، ماسح أحذية شاب يكبرها بعامين ، يســكن فى نفس الشارع ، ومن أول لقاء لها به وهو يشــترى خبــزه ، وبمجــرد أن عرفت حرفته ، وجدت نفسها تهتف فى داخلها بمنتهى الدهشة « يا سبحان الله ! معقول هذا ماسح أحذية ؟! » .. قمر 14 ، وأدب جم ، وحيوية ، وشقاوة ، وكأنه

ملك يملك مفاتيح سعادته فى يده .. ولا تدرى (فاطمة) حتى الآن كيف جرت الأمور على ذلك النحو الذى جرت به بعد هذا اللقاء .. ذابا حبًا فى بعضهما ، وفى أقل من ثلاثة شهور كانا متزوجين ، ويسكنان شقة بسيطة فى « القطامية » ، وينجبان أربعة أولاد بنتًا يصر على تعليمهم جميعًا ، حتى وضع أكبرهم قدميه فى كلية الإعلام ، فإذا بطائر الموت يختطفه فجأة قبل أن يكمل الثامنة والأربعين من عمره ، وتكاد المصيبة تذهب بعقلها لولا تعلُّق أولادها بها ، فتفيق لنفسها ، وتهم بأن تنقذ المركب بالبحث عن عمل ، فإذا بمرض فى عمودها الفقرى يلقى بها فى الفراش ، ليجد الابن الأكبر نفسه هو المطالب بإنقاذ المركب ، ولا يجد أمامه سوى الإسراع بتعليق صندوق الورنيش فى كتفه ، والانطلاق به فى الشوارع !!

ويبقى السؤال : « كيف نجــا جمــال (فاطمة) وابتسامتها الساحرة من كل هذا ؟! »

والجواب فى كلمة واحد : « أبناؤها ! » .. نعم أبناؤها ولا شىء سواهم .. الأيقونات الأربعة اللاتى لم ولن يوجد على ظهر الأرض من هم فى أدبهم ورقيهم ونباهتهم وحبهم لأمهم .

★ ★ ★

بباب الغرفة وقف (يحيى) مطلقًا نظراته الوامضة بالسعادة تحلّق على وجه أمه الأجمل من القمر .. فكان رد (فاطمة) ابتسامة مفعمة بسعادة تفوق سعادته وهى تجلس فى فراشها ممددة ساقيها تحت البطانية ، ومتكئة بظهرها على ظهر السرير الخشبى المتواضع .. هياج مشاعره ألجم لسانه ، وجمّد قدميه فى مكانهما ، فأسرعت تمد يدها له قائلة بابتسامتها الدافئة ، وبكل ما فى قلبها من حنان :

ــ تعــال .

تقدم منها طائعًا مدهوشًا كالنــائم مغناطيسيًا حتى جلس أمامها على حافة الفراش محتضنًا كفها الرقيق بين راحتيه ، دون أن تهدأ حُمّى نظراته الهائجة فوق وجهها ، ودون قدرة على النطق ، فإذا بها هى التى تقول له :

ــ مبروك !

فوجئ :

ــ علام يا (بطة) ؟!

ــ على كرم ربنا .

اشتدت دهشته :

ــ ماذا تعنين ؟!

ــ أعنى ما تود أن تخبرنى به .

ــ أو تعلمين ما هو ؟!

ــ رأيته فى المنام .

هز رأسه نفيًا وذهولاً :

ــ بل هو أكثر من أن يُرى فى منام .

ــ حاشا لله يا بنى .. لا شىء كثير على الله .

ــ وظيفة بألفى جنيه شهريًا من الغد ..

وتحقيق حلمى كمقدم برامج ..

وعشرة آلاف جنيه نقدية ..

وأخرج رزمة النقود من جيب سترته الجلدية البنية المشققة ، ووضعها فى يدها ، فكان ردها بتبسمها الحنون ، وبمنتهى الهدوء :

ــ كلها مجتمعة ليست كثيرة عليك يا حبيبى .

ــ كلها مجتمعة جاءت فى لحظات يا أم (يحيى) !!

ــ إنه الله يا بنى .. يقول « كن » فيكون

وخشع قلب الفتى :

ــ ونعم بالله يا أم (يحيى) .. ونعم بالله .

وسكنت فورة انفعاله ، ثم بدا وكأن شيئًا خطر بباله ، فراح يزحف بنظراته على وجه أمه فى بطء وعمق ، حتى وجدت نفسها تسأله بتبسمها :

ــ ماذا يا (يحيى) ؟!

ــ أُفتش فى عينيك وفى وجهك عن شىء تعبت كثيرًا فى محاولة معرفته .

ــ أى شىء يا حبيبى ؟

ــ شىء يبهرنى .. يثيرنى .. شىء لا أعلمه ولكننى واثق من وجوده ، فمفعوله واضح فى شخصيتك وعلى وجهك .. شىء حفظ لك هذه الطمأنينة العجيبة التى تملؤك ، وهذه الابتسامة المطمئنة التى لا تفارقك لحظة ، رغم كل ما تعرضت له ، ورغم حكايتك الأكثر من مأساوية .. حكاية الزوجة الشابة الجامعية الجميلة بنت الأكابر وربيبة القصور التى تتحول إلى شريدة فى الشوارع ، ثم إلى مدرِّسة فى مدرسة لغات ، ثم إلى لصة فى السجن ثم إلى بائعة خبز ، ثم إلى زوجة ماسح أحذية ، ثم إلى أرملة مريضة لا تغادر فراشها .. ورغم كل هذه المأساوية التى لا تُصدق لا تفقدين طمأنينتك ، ولا تفارقك

ابتسامتك ، فماذا يكون هذا الشىء الذى حفظهما لك بهذه القدرة المذهلة ؟ والذى طالما بحثت عنه فى عينيك وفى وجهك كلما جلست أمامك فى لحظة صفاء كهذه ، وأبدًا لم أجده .. أبدًا .

ــ لأنه ليس فى عينى ولا وجهى يا بنى .

ــ أين إذن ؟

ــ فى قلبى .

ــ وما هو ؟

ــ قانون إلهى .

ــ قانون إلهى ؟!

ــ نعم قانون إلهى ، أى لا تستطيع قوة على الأرض تعطيله .. قانون يجعلنى مطمئنة وواثقة فوق ما تتصوّر بأن لى أيامًا حلوة آتية .. أيامًا ستردم كل هذا المَرار الذى عددته ، وتذهب حتى بذكراه .. أيامًا سأعوم فيها فى السعادة عومًا ، وسأغتسل فيها بالفرحة من كل ما تعرضت له .. قانون لو حفظه المبتلى فى قلبه لأيقن كل اليقين بأن الفرج قادم ، وأن أيامه الحلوة قادمة .

وصمتت السيدة الجميلة المستبشرة لتبتلع ريقهـا ، فأسرع الابن يسألها بمنتهى اللهفة :

ـ أى قانون هذا يا ست الحبايب ؟!

وجاءه الرد بالابتسامة الحانية المستبشرة الرائعة :

ـ قانون المولى (عز وجل) : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .. صدق الله العظيم .

★ ★ ★

ـ أهلاً .. أهلاً .. أهلاً ..

رددها الدكتور (رمزى) بفرحة وقورة راقية وهو يخرج من خلف مكتبه الضخم الشيك متلقيًا (سوزى) فى حضنه وضاممها بحنين متناه :

ـ أزيك يا بابا ؟

ـ الحمد لله يا قطة بابا .

والتفت إلى (عماد) يصافحه مرحبًا بحميمية أبوية خالصة :

ـ أزيك يا (عمدة) ؟

ـ الله يسـلمك يا دكتـور .. إزى حضـرتك أنـت ؟ وإزى الدكتـورة ؟

ـ الحمد لله بخير .

ـ أين حضرتها ؟

ـ فى الكلية ، كان عندها محاضرة وعلى وشك الوصول .. تفضلا .

وخرج بهما إلى الريسبشن ، فإذا بالدكتورة (يسرية) تدخل من باب الشقة ، تُفاجأ بهما فتتهلل فرحة :

ـ أهلاً .. أهلاً .. ما هذه المفاجأة الحلوة ؟!

وخطت نحوهما بفرحتها بينما اندفعت (سوزى) إلى حضنها تبادلها القبلات بمنتهى التعطش إلى حنانها وأمومتها :

ـ إزيك يا ماما ؟ وحشتنى .. وحشتنى موت .

ـ وأنت أكثر يا حبيبتى .. حمد لله على السلامة .

ـ الله يسلمك يا ست الكل .



والتفتت الدكتورة (يسرية) إلى (عماد) مصافحته بأمومتها الدافئة :

ـ أهلاً بالأفوكاتو الجميل .

ـ أهلاً بك يا دكتورة .. إزى حضرتك ؟

ـ الحمد لله .. تفضل .

وأشارت له بالجلوس ففعل هو والدكتور (رمزى) وهى ، أما (سوزى) فقد هتفت بخفة ظلها :

ـ أنا ميتة من الجوع ، أين (زينب) ؟

ـ مؤكد فى المطبخ .

أجابتها الدكتورة (يسرية) ، فانطلقت مهرولة نحو المطبخ وهى تنادى الخادمة الشابة :

ـ زينب .. زينب .

وفى أقل من نصف ساعة كانت هى وزوجها ووالديها يلتفون حول مأدبة الغداء الأرستقراطية فى جو بهيج ، حتى إذا ما فرغوا من تناول غدائهم بادر الدكتور (رمزى) (عماد) قائلاً :

ـ ما رأيك يا متر نتناول الشاى فى المكتب ؟ أول أمس اكتشفت موقعًا على النت محمّلاً بدراسات ومرافعات قانونية جديدة هائلة .

ـ أدركنى به يا دكتور .

هكذا جاءه رد (عماد) سريعًا نهمًا ، فنهض معه وهو يقول لزوجته وابنته بخفة ظله الراقية :

ـ سنخلى لكما المسرح لتنمَّا فينا بحريتكما .

ـ شكرًا يا أحلى بابا فى الدنيا ، فأنا فعلاً عطشانه نميمة موت .

وضحكوا جميعًا من قلوبهم ، ومضى الرجــلان إلى مكتب الدكتور ، فأسرعت (سوزى) تنفرد بأمها فى غرفتها التى ظلت محفوظة كما هى بعد زواجها حتى بدباديبها على الفراش .. جلسا متربعين فوق الفراش نفس جلستهما المحببة التى لم تتغير منذ السنوات البعيدة الجميلة ، وبدأت الأم الحديث بسؤال ابنتها فى حنان وتبسم :

ـ ها يا حبيبة ماما .. ما أخبارك ؟

وأجابتها (سوزى) وهى تعيد دبدوبها الأصفر السمين إلى مكانه بعدما قبلته :

ـ الحمد لله يا ماما .

ـ ذهبتما إلى الدكتور (نصر) ؟

تحـرك توتر (سوزى) ، ها هو ما كانت تخشـاه ، فتح هذا الموضوع .. أسرعت تصطنع ابتسامة خفيفة وهى تجيب :

ـ نعم يا ماما .. ذهبنا إليه .

ـ وبم أخبركما ؟

ترددت قليلاً ، ثم أجابت فى حرج :

ـ أخبرنى أن العيب فىَّ أنا .

تأملتها الدكتورة مليًا لوهلة ، ثم تبسمت قائلة :

ـ مشكلتك يا حبيبة ماما أنك لا تستطعين الكذب .

فوجئت (سوزى) ، ونظرت إليها فى دهشة فكان استطراد الدكتورة بحنوها وتبسمها :

ـ نظرات عينيك تفتن عليك .. كل نظرة منهـا تقول عكس ما نطق به لسانك .

أطرقت (سوزى) خجلاً :

ـ آسفة يا ماما .

رفعت الدكتورة وجهها بيدها ، ناظرة فيه بتبسمها الحنون :

ـ أنا فخورة بك يا حبيبة ماما .. الزوجة التى تعيب نفسها حفاظًا على صورة زوجها زوجة محترمة حسنة التربية ، وفخر لوالديها وخاصة أمها .

فتحت الكلمات الطيبة قلب الابنة الرقيقة ، فتدفق منه الألم المكبوت ، دافعًا الدموع فى مقليتها .. ألقت بنفسها فى حضن أمها منهارة باكية قائلة بالدموع :

ـ ما بينى وبين (عماد) يا ماما أكبر من أى شىء فى الدنيا ، أكبر حتى من لهفتى على الإنجـاب .. إنه زوجى ، وحبيبى ، وصديقى ، وكل شىء جميل فى حياتى .

ـ وأنا وبابا لسنا فى حاجة لأن تقولى لنا هذا .. نحن نعلمه ، وسعداء به ، ونضرب به المثل ، ونحن لا نتدخل فى حياتك طالما أنت سعيدة وهنيئة ومرتاحة ، وإذا كان لنا رأى فى حكاية الإنجاب هذه فسأقوله لك .. أنتما لم يمر على زواجكما سوى ثلاث سنوات ، وأنا وبابا نعرف أزواجًا تأخروا فى الإنجاب لأكثر من خمس سنوات ، ثم أكرمهم الله بأجمل أبناء ، وأمامنا مثال ليس ببعيد (سمية) ابنة خالتك .. تأخرت فى الإنجاب ثمانى سنوات كاملة ، ثم أنجبت (ميدو) و(نسمة) أجمل شاب وفتاة فى العائلة الآن .

وابتسمت مستدركة بسرعة .

ـ بعدك طبعًا يا جميل .

رطبت الكلمات الطيبة الحانية قلب الابنة ، فرفعت رأسها من فوق صدر أمها لتنظر إليها مبتسمة ، وقائلة وهى تمسح دموعها :

ـ حضرتك أجمل من الكل يا ست الحبايب .. وأنت وبابا أعظم أم وأب فى الدنيا كلها .

ـ وأنت أجمل بنوتة فى الدنيا كلها يا حبيبة بابا وماما .

وأخذتها الأم الطيبة الراقية مرة أخرى فى حضنها ، وراحت تربت على ظهرها بمنتهى الحنان وهى تردف قائلة :

ـ حبيبة ماما .. أنا وبابا علمناك منذ طفولتك درسًا عظيمًا يجب ألا تنسيه لحظة واحدة فى حياتك .

ـ أى درس يا ماما ؟

ـ لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

وخشع قلب (سوزى) مصدّقة :

ـ صدق الله العظيم .

وخمد كل ما يؤلمها ويشد أعصابها إلا علامة الاستفهام هذه الضخمة المؤلمة التى بقيت مصلوبة فى عينيها وهما تطلان من فوق كتفى أمها .

★ ★ ★



الفصل السابع

ــ برافو (يحيى) .. برافو .. هذه أروع فكرة برنامج عُرضت علىَّ منذ أنشأت القناة .

واستطرد الرجل السمين الأنيق الخمسينى العمر قائلاً بسعادته المتناهية وهو يجلس خلف مكتبه الضخم الأنيق :

ــ وصدقنى أشعر وكأننى كنت أنتظر هذه الفكرة طوال هذه السنوات ، والحمد لله أن ربنا أكرمنى بها على يديك .

ورفع عينيه إلى أعلى فى شرود بهيج ، وأخذ يردد اسم البرنامج ، فى بطء وكأنه يتذوقه ويستمتع بمذاقه :

ــ الأمل .. الـــ .... أمل .

وعاد ينظر إلى (يحيى) الجالس أمامه ببدلته البنية الشيك يسطع بهاءً ووسامة ، واستطرد قائلاً بابتهاج :

ــ على بركة الله .. من الغد سيكون معك فريق عمل كامل ، ومع تصوير أول حلقة منه ستنطلق حملة إعلانية ضخمة له على جميع القنوات التليفزيونية ، وفى كافة الصحف والمجلات الكبيرة ،

بالإضافة إلى الإعــلانات المضـيئة الضخمة فى كافة الميادين السوبر فى القاهرة والجيزة والإسكندرية ، وفى « شرم الشيخ » ، وعلى امتداد الساحل الشمالى حتى « مارينا » ..

وسكت الرجل متطلعًا إلى (يحيى) بعينيه الوامضتين بفرحته وسعادته ، وكأنه ينتظر تعليقه على ما قــال ، فلم يتلق سوى تعبيرات ذاهلة على وجهه وفى نظراته جعلته يبتسم متسائلاً فى دهشة :

ــ ماذا يا أستاذ ؟!

وأسرع (يحيى) ينفض عنه ذهوله :

ــ الحقيقة يا (خيــرى) باشـــا أننى لم أكــن أتوقع تقديرك وحماستك للفكرة إلى هذا الحد .

ضحك (خيرى سعد الدين) من قلبه :

ــ بل الحقيقة أن فكرتك هائلة ، وأنت هائل ، ومستقبلنا معًا إن شاء الله هائل هائل هائل .

ــ إن شاء الله يا باشا .

ــ تشرب معى عصير آخر ؟

ــ بل أستأذن سيادتك فى الانصراف إذا لم تكن تريدنى فى أمر آخــر .

ــ أنا لا أستغنى عنك يا حبيب قلبى .. آه .. غدًا بمشيئة الله سيكون عقدك جاهزًا .

ــ تحت أمرك يا باشا .

ونهض واقفًا ، ونهض معه (خيرى سعد الدين) يشد على يده باحترام شديد :

ــ مع ألف سلامة ..

ــ الله يسلمك يا افندم .

واستدار منصرفًا ، بينما (خيرى سعد الدين) يشيعه بنظراته المتوهجة بالفرحة وكأنه هدية هبطت عليه من السماء ، حتى إذا ما خرج الشاب من باب المكتب أسرع هو يطلب رقمًا على الموبايل .

★ ★ ★

صاح (هشام البكرى) مهنئًا :

ــ مبروك .

كان يجلس خلف مكتبه ، بينما (يحيى) يقبل عليه بفرحته :

ــ الله يبارك فى سيادتك يا باشا .

وصافحه (هشام البكرى) بمنتهى الفرحة :

ــ حمدًا لله على السلامة يا نجم .. تفضل .

جلس (يحيى) وهو يفــك أزرار بدلته ، بينما أسرع (هشام) يقدم له (عماد) الذى كان يجلس أمامه :

ــ الأستاذ (عماد ذكى) المحامى النابغة .

ــ أهلاً وسهلاً يا أستاذ (عماد) .

ــ أهلاً بحضرتك .

ومضى (هشام) مكملاً التعارف :

ــ الأستاذ (يحيى إسلام) النجم الإعلامى القادم .

ــ تشرفنا يا أستاذ (يحيى) .. وألف مبروك .

ــ شكرًا يا أستاذ (عماد) .



ونظر (هشام) إلى (يحيى) بفرحته :

ــ أخبارك الحلوة سبقتك فى الموبايل يا نجم .

ــ الفضل لله ، ثم لسيادتك يا باشا .

ــ الفضل كله لله يا أستاذ .

ــ الحمد لله يا باشا .. الحمد لله .

والتفت (هشام) إلى (عماد) قائلاً :

ــ الأستاذ (يحيى) سيقدم برنامجًا تليفزيونيًا جميلاً .

ــ ألف ألف مبروك يا أستاذ (يحيى) .

ــ الله يبارك فيك يا أستاذ (عماد) .

ــ وماذا سيكون موضوع البرنامج ؟

ــ الأمل وأثره فى حياة الناس .

ــ الله .. موضوع رائع .

ــ متشكر يا أستاذ (عماد) .

وتدخل (هشام) قائلاً لـــ (يحيى) :

ــ مؤكد أشياء كثيرة دارت فى رأسك الجميل هذا وأنت قادم إلى هنا .

ــ شىء واحد يا باشا .

ضحك مداعبًا :

ــ شىء واحد فقط ؟!

ــ نعم .

ــ وماذا يكون هذا الشىء المحظوظ ؟!

ــ أن تكون مجموعة شركات (البكرى) هى راعية البرنامج ، أى يكون البرنامج مادة إعلامية من ناحية ومادة إعلانية للمجموعة من ناحية أخرى .

ــ الله ! الله عليك يا أبو (يحيى) .

هكذا انفلتت هتفة (هشام) مفعمة بالانبهار ، ثم التفت إلى (عماد) يسأله بانبهاره :

ــ ما رأيك يا متر ؟

ــ فكرة هائلة طبعًا يا باشا .



عاد ينظر إلى (يحيى) بمنتهى الإعجاب قائلاً :

ــ ضرورى تكون هائلة لأنها من عقل هائل .

وأطرق مفكرًا لوهلة ، ثم عاد ينظر إلى (يحيى) قائلاً :

ــ فكرة البرنامج توحى بأنه ستصادفك حالات إنسانية تحتاج إلى المساعدة .

ــ مؤكد يا باشا .

تأمله (هشام) مليًا لوهلة ، ثم إذا بوجهه يكتسى بالجدية ، ويقول له بمنتهى الحسم مُمليًا عليه قائمة أوامر صارمة لا تقبل النقاش :

ــ اسمع يا (يحيى) ! من هذه اللحظة ستكون تحت يدك ميزانية مفتوحة ، لك الحرية المطلقة فى التصرف فيها .. وأية حالة إنسانية تحتاج إلى المساعدة لا تتردد لحظة فى تلبية حاجتها ، ودون الرجوع إلىّ والأهم من ذلك دون ذكر اسمى أو اسم المجموعة بأى حال من الأحوال ، ولا حتى بالإيحاء ، وإنما باسم فاعل خير .

وسكت قليلاً دون أن يزحزح عينيه عن وجه الشاب ، ثم عاد يقول له بجديته وحسمه :

ــ هل فى هذا شىء صعب تنفيذه ؟

وكان رد (يحيى) فى بهوت :

ــ لا يا باشا .

وحلق بعينيه الدهشتين على وجه (هشام) لوهلة ، ثم أردف ببهوته :

ــ فقط ...

ــ فقط ماذا ؟

ــ سيادتك وضعت فى رقبتى مسئولية عظيمة .

ــ وأنت كفء لها .

ــ أدعو الله أن أكون كذلك .. وأن أكون عند حسن ظن سيادتك .

والتفت (هشام) إلى (عماد) قائلاً :

ــ وأنت يا متر .. عليك بإعداد العقود اللازمة بين المجموعة والقناة فى أسرع وقت ممكن .

ــ أمرك يا باشا .



أجابه (عماد) بسرعة ، فى حين بدت الدهشة الشديدة على (يحيى) ، ووجد نفسه يسأل (هشام) فى حرج :

ــ عفوًا يا باشا ، ألن تأخذ سيادتك رأى الأستاذ (خيرى) ؟!

هنا عادت إلى (هشام) بشاشته ، وضحك مجيبًا (يحيى) فى دهشة :

ــ رأيه ؟! رأيه فى ماذا ؟! إنه سوف يطير من الفرحة ، فمنذ أكثر من خمس سنوات يُصدع رأسى بجملة واحدة لا يغيرها « نفسى أعمل بزنس معك » .. وهأنت حضرتك تحقق له أمنيته .. سوف يظل يدعو لك حتى يوجعه لسانه .

وعاد يضحك من قلبه ، ثم نقَّل نظراته بين الشابين قائلاً :

ــ ما رأيكما فى الاحتفال بهذه المناسبة عندى فى الفيلا .

وجاء رد (يحيى) سريعًا بفرحته :

ــ تحت أمرك يا باشا .

بينما جاء رد (عماد) فى عشم :

ــ ممكن أطمع أنا فى هذا الشرف يا (هشام) باشا .

ــ ماذا تعنى يا متر ؟

ــ نحتفل عندى .

التفت (هشام) إلى (يحيى) :

ــ ما رأى نجمنا الجميل ؟

ــ الأمر لك يا (هشام) باشا .

ــ وهو كذلك .. غدًا عند الأفوكاتو .

[يتبع فى الجزء الثانى]

★ ★ ★





سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



فوزى عوض

إحساس جميل تجاه الفتى فاح فى وجدان « هشام » باشا ، وجعل عينيه تلمعان وهو يتأمله مبهورا بطموحه وتخطيطه وتفاؤله ، رغم ظروفه التى لا تبشّر بأى خير .. مال على المكتب بمرفقيه مقتربا بوجهه من الفتى ، قائلا له بصوت خفيض حنون وكأنه يهمس له :

أتعلم ما هو أجمل ما فيك يا فتى ؟

« أملك فى الله » .

114

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



